دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

كتاب الأمة

العدد ١٧٢| ربيع الأول ١٤٣٧هـ | السنة السادسة والثلاثون

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية ـ قطر

علاقة المغاربة بفلسطين

الرحلة والوقف

د. حسن يشو

حسن الميلود أحمد يشو الحسني

* من مواليد المغرب.
* دكتوراه في الآداب، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة (المغرب).
* يعمل حالياً بالتدريس الجامعي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.
* له عدد من الكتب والبحوث العلمية المنشورة، منها:
  - حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية: دراسة تأصيلية تطبيقية.
  - المعسول في شرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول.
  - المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.
  - فقه الاختلاف بين التأصيل والتفعيل.
  - فصل الخطاب في تحريم المسلمات على أهل الكتاب.
  - استبدال الوقف في الفقه الإسلامي.
  - التداوي بالمحرمات في الفقه المعاصر: دراسة مقارنة.
  - التجديد الفقهي بين التأصيل والتفعيل.
  - قضايا الجينوم البشري والأحكام الفقهية المتعلقة به.

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية ـ قطر

.إعادة تشكيل العقل المسلم في ضوء معرفة الوحي

. إحياء مفهوم فروض الكفاية وأهمية التخصص

.المساهمة في بناء النخبة الراشدة

.إشاعة الوعي بأهمية المنهج السنني

ثلث قرن من العطاء..

قطر – الدوحة – ص.ب: ٨٩٣ –هاتف: ٤٤٤٤٧٣٠٠(٩٧٤) فاكس: ٤٤٤٤٧٠٢٢

www.sheikhali-waqfiah.org.qa E-Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa

هذا الكتاب... جهد مقـــدر للعودة بالذاكرة إلى الجذور العميقة، التي تربط المغاربة بفلسطين، وإثارة موضوع الوقف الإسلامي وأوقاف المغاربة بشكل خاص في الأرض المقدسة؛ من أجل حمايتها والتنبيه على مواطن الخطر، التي تهددها كل يوم جديد، ولفت الانتباه إلى أن الحروب المتوالية في الصراع الدائر إنما بدأت حقيقة في القدس، ومن منطقة أوقاف المغاربة، من حائط البراق المتصل بمنازل المغاربة مباشرة.

فهو بحث، بالدرجة الأولى، لإبراز العلاقة المبكّرة للمغاربة بأرض فلسطين، التي رحلوا إليها واســتــقروا بــها؛ للذود عن حمـــــاها منذ أيام صـــــلاح الدين الأيوبي.. وما كان للمغـــــاربة من دور مهم في الحروب الصليبية المتتالية على فلسطين والقدس؛ حيث عملوا على شغل نصارى الأندلس عن المشاركة في الحملات الصليبية بالمشرق العربي.

كما يأتي الكتاب للتأكيد أن أملاكَ الوقف الإسلامي ملكيةٌ شرعية لا يمكن التطــاول عليها أو انتزاعها أو حتى تجريدها من صفــتــها القـــانونية والشرعية، التي هي الأســـــاس في التعـــامل معها، وأن فلسطين أرض وقف إسلامي إلى يوم القيامة، وقد عرفت مدينة القدس نظام الوقف الإسلامي منذ أن دخلت في رحاب الإسلام.

هذه الحقيقة لا تغيرها محاولات المسخ والتشويه وإلغاء الهوية الإسلامية وما تم من استيلاء على كافة الأوراق والوثائق البريطانية ذات الصلة بالوقف الإسلامي، ومصادرة الأراضي الوقفية وما كان عليها من مساجد ومقابر بحجة ما يسمى «قانون أملاك الغائبين»، وسن القوانين، وإصدار القرارات، التي تحد من إعادة تملك الأوقاف للمسلمين، وفصل الأوقاف بعضها عن بعض وتحديدها بمجالس موالية للمحتل، والتدخل في بنية المؤسسة الوقفية واستراتيجيتها وخططها التشغيلية.

www.sheikhali-waqfia.org.qa

www.islamweb.net

email:m_dirasat@islam.gov.qa

علاقة المغاربة بفلسطين
الرحلة والوقف

د. حسن يشو

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٣٧هـ

كانون أول (ديسمبر) ٢٠١٥م – كانون ثاني (يناير) ٢٠١٦م

حسن يشو.

علاقة المغاربة بفلسطين.. الرحلة والوقف.

الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥م.

٢٠٨ص، ٢٠سم – (كتاب الأمة، ١٧٢)

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: **٢٥ / ٢٠١٥**

الرقم الدولي (ردمك): **١ - ٩ - ١٢٠ - ٩٩٢٧ - ٩٧٨**

أ. العنوان ب. السلسلة

حقوق الطبع محفوظة

لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بدولة قطر

موقعنا على الإنترنت : www. sheikhali-waqfiah.org.qa
www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأي مؤلفيها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر

- إعادة تشكيل العقل المسلم في ضوء معرفة الوحي
- إحياء مفهوم فروض الكفاية وأهمية التخصص
- المساهمة في بناء النخبة الراشدة
- إشاعة الوعي بأهمية المنهج السنني

ثلث قرن من العطاء..

قطر – الدوحة – ص.ب: ٨٩٣ –هاتف: ٤٤٤٤٧٣٠٠(٩٧٤) فاكس: ٤٤٤٤٧٠٢٢

www.sheikhali-waqfiah.org.qa E-Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا «**كتاب الأمة**» الثاني والسبعون بعد المائة: «**علاقة المغاربة بفلسطين .. الرحلة والوقف**»، للدكتور حسن يشو، في سلسلة «**كتاب الأمة**»، الذي يصدر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، في سعيها الدؤوب لإعادة صياغة الشخصية المسلمة في ضوء هدايات الوحي، ووفق قيمه المعصومة، واستهداءً بسلوك الرسول القدوة ﷺ، واقتفاءً بحياة الأصحاب في القرون المشهود لها بالخيرية والعدالة، ومواجهة صور الغلو في الدين، والانحراف بقيمه، والاعوجاج بفهمه، والتشويه المتعمد وغير المتعمد لتنزيله على الواقع بفقه قليل وعقل عليل.

هذا وإن فلسطين هي أرض إسلامية وقفية إلى يوم القيامة، لا يجوز التنازل عنها بأي حال من الأحوال، بل إن الدفاع عنها واجب شرعي على

كل مسلم ومسلمة، وهي أرض عربية الأصول من غير مين، إسلامية الجذور بلا نزاع منذ آلاف السنين. وعليه؛ فالواجب على جميع أبناء الأمتين العربية والإسلامية أن يعكفوا على دراسة تاريخ فلسطين، وأن يتحروا الدقة والموضوعية فيها؛ حتى يتعرفوا على حقوقهم ابتداءً، ويردوا كيد الحاقدين، ويدحضوا شبهاتهم ويفندوا أوهامهم وأغلوطاتهم.

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط عيّ في الحي انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكي من صلة الماضي انقضابا

وتأتي هذه الدراسة لتبرز جانباً من جوانب تراث المسلمين وأوقافهم في الأرض المقدسة وبخاصة ما يتعلق منها بأوقاف المغاربة، مما يدل على أن العلاقة بفلسطين وحبها والتعلق بها كان قاسماً مشتركاً بين جميع المسلمين، مشارقة ومغاربة، الشيء الذي يؤكد اليوم ضرورة الدعوة لكل غيور على تاريخه من أبناء هذه الأمة إلى القيام بواجبه تجاه فلسطين وأهلها وأوقافها الإسلامية بلا استثناء، وأوقاف المغاربة ليست عن ذلك ببعيدة، من أجل حمايتها والدفاع عنها والتنبيه على مواطن الخطر، الذي يهددها كل حين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وصحبه خلاّن الوفا، وبعد:

فإن الخير لا ولن ينقطع في أمة محمد، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فالخير موصولٌ في هذه الأمة إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها. كيف لا، و«الوقف» قائم بين ظهرانينا، فينبغي المحافظة عليه وتقويته وتنميته في مختلف المجالات ومناحي الحياة. ولا يخفى أن الوقفَ يمثل مؤسسة مجتمعية لا يستهان بها، وأن أهل العلم مدعوون للاهتمام به وتنشيطه، ففيه القربة وفيه الثواب العظيم من الله ﷻ. هذا ومن واجبنا إزالة آثار الغبار، الذي تراكم على الوقف في ردهة من الزمان، فالضعف ليس من الوقف ذاته، وإنما هو ناجم من المسؤولين عنه والمتولين له والناظرين عليه[1].

إن أملاكَ الوقف الإسلامي ملكيةٌ شرعية لا يمكن التطاول عليها أو انتزاعها أو حتى تجريدها من صفتها القانونية والشرعية، التي هي الأساس في التعامل معها.

وذلك لأن الوقف أصلا يمثل حيزا كبيرا من العقارات والمؤسسات في العالم الإسلامي والأراضي المقدسة بما فيها الأرض، التي بارك الله فيها

---

(١) انظر: عكرمة سعيد صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٧.

وما حولها، أرض فلسطين عامة والقدس الشريف خاصة. وبات نظام الوقف يشرف على عدد لا يستهان به من المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية والصحية علاوة على المساجد والتكايا والزوايا والمقابر وهلم جرا. وتأتي أهمية الأوقاف نظرا للتقصير، الذي حصل في إدارتها والمحنة، التي تعرضت لها عبر التاريخ، وإن ثمة أطماعا استعمارية من قبل الغزاة عامة والصهاينة اليهود خاصة.

وإن إثارةَ موضوع الوقف الإسلامي بفلسطين وأوقاف المغاربة يأتي في إبّانِه؛ من أجل حمايتها والتنبيه على مواطن الخطر، التي تهددها كل يوم، ولعلها توقظ الضمائرَ الحية في الأمة، من طنجة إلى جاكرتا.

وإني أتشرف بالكتابة حول فلسطين وما يتعلق بها من أحكام شرعية وفقهية؛ وذلك لمكانتها في قلوبنا -معاشر المسلمين- ويأتي هذا البحثُ من باب البر والصلة بهذه الأرض؛ لأن لنا حبلاً سُرّياً يربطنا بها.

علاوة على أنه ينمُّ عن علاقة وطيدة وحميمية مبكّرة للمغاربة مع الأرض المقدسة: أرض الآباء والأجداد، أرض الأنبياء والشهداء، سواء تعلق الأمر بالأسباب الدينية أو الرحلات العلمية والروحية والاستكشافية، أو ببطولة المجاهدين المغاربة ضد الصليبيين العتاة، الذين غزوا بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة، أو بالأوقاف الإسلامية في بيت القدس الشريف وأكناف بيت المقدس وهي التي استوقفتنا مليّاً في الحفر عن أسبابها والتحديات المتربصة بها، واستلهام الحلول والتوصيات للخروج من هذا المأزق؛ وذلك من خلال هذه الرحلة الماتعة!

هـذا، وتأمـل عزيـزي القـارئ فضـلَ القـدس، الـتي كانـت محـلا لأوقـاف المغـاربة؛ تلكـم الدرة الثمينـة، والياقوتة الغاليـة، ويكفـي أن أسـوق أنموذجـا فقـط لما قاله مجير الدين الحنبلي عن رواية مقاتل بن سليمان: «ما فيه شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل، أو قام عليه ملك مقرب... وتاب الله على زكريا وبشره بيحيى في بيت المقدس، وكان الأنبياء، عليهم السلام، يقربون القرابين في بيت المقـدس، وأوتيـت مـريم، عليهـا السـلام، فاكهـة الشـتاء في الصـيف وفاكهـة الصيف في الشتاء في بيت المقدس، وولد عيسى عليه السلام وتعلم في المهد صبيا في بيت المقدس، ورفعه الله إلى السماء من بيت المقدس، وأنزلت عليه المائدة في بيت المقدس، وأعطى الله البراق للنبي ﷺ تحمله إلى بيت المقدس»[1].

هذا وأن فلسطين أرض وقف إسلامي إلى يوم القيامة، فهي أرض عربية الأصول من غير مِيْن، إسلامية الجذور بلا نزاع منذ آلاف السنين. وعليه؛ فالواجب على جميع أبناء الأمتين العربية والإسلامية أن يعتكفوا على دراسة تاريخ فلسطين، وأن يتحروا الدقة والموضوعية فيها؛ حتى يتعرفوا على حقوقهم ابتداءً، ويردوا كيد الحاقدين، ويدحضوا شبهاتهم ويفندوا أوهامهم وأغلوطاتهم. ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

مـثل القـوم نسـوا تاريخـهم كلقيط عيّ في الحي انتسابا
أو كمـغلوب علـى ذاكـرة يشـتكي مـن صـلة الماضـي

---

(١) مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (الأردن: مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م) ص٢٣٩.

ومن هنا تأتي دعوتنا لكل غيور على تاريخه للقيام بواجبه تجاه فلسطين وأهلها وأوقافها الإسلامية بلا استثناء، وأوقاف المغاربة ليست عنها ببعيدة، ولله الحمد والمنة.

وقد عرفت مدينة القدس نظام الوقف الإسلامي منذ أن دخلت في رحاب الإسلام[1]، ويدل ذلك على أن أرض فلسطين كانت محل أنظار المسلمين منذ بزوغ بدر الرسالة الإسلامية. وقد مسح الاحتلال الفرنجي للقدس خلال الفترة الزمنية الطويلة، التي تمكّن فيها من هذه المدينة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م– ٥٨٣هـ/١١٨٧م) كل ما كان فيها من تراثٍ عربي وإسلامي مخطوط، حتى إنّهم رموا أحد علماء القدس - وهو مكي بن عبد السلام ابن الرميلي المقدسي المحدث- بالحجارة على باب أنطاكية إلى أن نال الشهادة.

كما تأتي أهمية الحديث عن الأوقاف الإسلامية في فلسطين ولاسيما أوقاف المغاربة؛ لأن الحروب المتوالية في الصراع العربي الإسرائيلي بدأت حقيقة في القدس، وبالضبط من منطقة أوقاف المغاربة، من حائط البراق المتصل بمنازل

---

(١) غير أن ثمة وثائق تؤكد بالنص الصريح على أن الوقف الإسلامي الأول في فلسطين هو الذي أوقفه الرسول ﷺ مرتين في مدينة الخليل (حبرون) على تميم بن أوس الداري وإخوته (وهم من لخم) مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها؛ وذلك كان بشارة نبوية إعجازية تؤكد على هوية فلسطين الإسلامية، قبل فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ. وقد فصلنا القول حول هذه المسألة في النشأة التاريخية للأوقاف الإسلامية بفلسطين. انظر النصوص بصيغها المختلفة ورواياتها وتحقيقاتها في كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، ط٦ (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٧م) ص١٣٠-١٣٣.

المغاربة مباشرة. هذا، وللتاريخ عبق لا ينسى؛ فباتت العناية بالموضوع ضمن الوفاء لهذه الأرض، ودفعا لتحديات وتآمرات دولية وصهيونية في خوض معترك الأوقاف الإسلامية بفلسطين ومحاولة طمس معالمها ورفس وثائقها وشهادات التاريخ في مصداقيتها، بل والاستيلاء عليها والسطو بالقوة والقهر، وبدعوى -أحياناً - أنها أوقاف غير مسجلة في ملفات المحاكم الشرعية على العهد العثماني؛ مما حمل البريطانيين إلى عدم اعتبار أي وقفية لم تتضمنها هذه الملفات، وهذا ما نص عليه القانون الإنكليزي لعام: ١٩١٩م، الخاص بالأوقاف.

ولا توجد دراسة مسح شاملة لأوقاف فلسطين يمكن التعويل عليها، فمعظم المسوحات - لحد اللحظة- تعوزها الدقة.

وللتاريخ، فإن عملية مسح أوقاف فلسطين عملية شاقة وتحتاج إلى جهد مضنٍ ووقت طويل، ولا يستطيع الاضطلاع بهذه المهَمّة آحادُ الناس، بل لابد أن تنوء به المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية والتاريخية، وأن يأخذ العمل في مساره الطابع الجماعي، أو عمل الفريق والمؤسسة، بحيث تتوزع المهام والأدوار بحسب التخصص، وأن تكون فيه جهة راعية تتسم بالحرقة على ما يجري من تهديدات للأوقاف الإسلامية بالأرض المقدسة والشجاعة على طرح الأفكار النبيلة والمواجهة للعدو بالحق والقانون والتاريخ.

تعد الأوقاف الإسلامية إحدى بؤر الصراع العربي الصهيوني بأرض فلسطين المحتلة عموما، وبالقدس الشريف على وجه الخصوص، نظرا لما تختزله هذه الأوقاف من المعالم الحضارية الناطقة بعمق انتماء هذه البلاد إلى حظيرة

الأمة العربية والإسلامية، والكاشفة في ذات الوقت عن زيف الادعاءات الصهيونية في «أرض الميعاد» المزعومة!؟

كانت أكبر محنة للأوقاف الإسلامية هي قيام دولة إسرائيل؛ حيث وضعت المؤسسة الصهيونية يدها على كافة الأوراق والوثائق البريطانية ذات الصلة بالوقف الإسلامي، وقامت بمصادرة الأراضي الوقفية بحجة ما يسمى «قانون أملاك الغائبين» وصودر ما عليها من مساجد ومقابر فحوّلت الكثير من المساجد إلى مطاعم وخمارات وحظائر للأبقار أحياناً وكنائس ومعابد لليهود تارة أخرى. وجرفت المقابر ونبشت عظام المسلمين وأقامت عليها الشقق السكنية والعمارات الشاهقة.

وكان هذا من بواعث الكتابة في الموضوع، علاوة على صرخات أمناء المسجد الأقصى وحراسه ومحامي الأوقاف الإسلامية عبر كل القنوات، الذين اعتقلوا وزج بهم وراء القضبان عشرات المرات[1].

في المرحلة الأولى من الاحتلال الإسرائيلي ومن أجل ترسيخ الاستيطان في الأراضي الفلسطينية تجلت الأهداف العدوانية المنظمة، والمخططة لاحتلالها لتلك الأراضي ومنها:

---

(١) دعا الشيخ رائد صلاح - رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني - المغاربة إلى التدخل العاجل على المستوى الرسمي والشعبي من أجل إنقاذ الأوقاف المغاربية في القدس وأكناف القدس من يد العبث الإسرائيلية والتي تتعرض لحملة تدمير وطمس، جاء ذلك عبر لقاء أجرته فضائية «الجزيرة» من المغرب، ضمن برنامج «الحصاد المغربي»، تخلل بث تقرير لمراسل الجزيرة في المغرب عن ملف الأوقاف المغاربية في القدس وقضية باب المغاربة وزيارة وفد الحركة الإسلامية للمملكة المغربية.

- اختيار أجود الأراضي الزراعية وأخصبها.

- السيطرة على الموارد المائية والثروات الطبيعية.

- احتلال الأراضي الفلسطينية واتخاذها مواقع عسكرية.

- خنق الأماكن السكانية الفلسطينية.

- إغراق السوق الفلسطينية بالاقتصاد الإسرائيلي.

- طمس المعالم الحضارية والثقافية التاريخية الفلسطينية، وتدمير الآثار والكنوز الوطنية، التي تشكل معلماً مهما لأقدم الحضارات في العالم على أرض فلسطين.

يظهر جلياً أنه بعد قيام دولة (إسرائيل) قامت المؤسسة الصهيونية بعمليات هدم منهجية للأوقاف والمقدسات الإسلامية كمحصلة لهدم القرى والمدن الفلسطينية، التي نكبت وهجّر أهلها، واستعملت المؤسسة الصهيونية الأساليب الآتية لتدمير الوقف الإسلامي[1]:

١- الهدم المباشر للمساجد والأوقاف والتكايا والزوايا والمقابر.

٢- تحويل المساجد إلى خمارات ومقاهٍ ونوادٍ أو متاحف.

٣- تحويل بعض المقابر إلى مجمعات للنفايات.

٤- مصادرة الأراضي الوقفية العامة والخاصة ونقلها إلى دائرة أراضي (إسرائيل).

٥- وإقامة شركات وهمية أو منبثقة عن هذه الدائرة كشركة هيمونتا.

---

(١) انظر موقع http://www. Islamic-aqsa.com

٦- تشكيل شركات حكومية للإشراف على الأوقاف في المدن الساحلية كتلك التي يمكن أن تعتبر معالم سياحية تشكّل رافداً مالياً كما هي الحال في عكا (مثلاً) حيث شكّلت شركة تطوير عكا.

٧- منعت المسلمين من ترميم أوقافهم المتصدّعة خاصة في المدن الساحلية والمهجرة، وجعلت عوامل الزمن تأخذ دورها في هذه الوقفيات.

٨- منعت المسلمين من دخول القرى المنكوبة، وزرعت بعض الأراضي بالغابات لطمس المعالم نهائياً، كما حدث في بعض القرى والنجوع في ألوية بيسان وطبريا.

٩- تحويل بعض الأوقاف الإسلامية إلى أوقاف يهودية خاصة فيما يتعلّق بقبور بعض الصالحين والخانات والمصليات والتكايا.

١٠- تعيين لجان وقف إسلامية لشرعنة مصادرة الأوقاف، كما حدث في المدن الساحلية (حيفا وعكا).

وهذا المنهج للسطو على الأوقاف الإسلامية عرفناه من قبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، حيث تعمدوا استهدافها بكل ما يملكون، فأصدروا قراراً بضم الأحباس الإسلامية لأملاك الدولة عام ١٨٣٠م، وتوزيعها على المعمرين.

وقد استعمل الصهاينة كل الوسائل للسطو على الأوقاف الإسلامية بفلسطين، استعملوا القوة والقهر، واستعملوا النصب والتحايل، وعملوا من غير فتور على إلغاء الهوية الإسلامية عبر العدوان الغاشم على الأوقاف، وسنوا قوانين، وأصدروا قرارات تحد من إعادة تملك الأوقاف للمسلمين، وفصلوا

الأوقاف في فلسطين عن بعضها البعض وتحديدها بمجالس موالية له، بل تدخلوا في بنية المؤسسة الوقفية واستراتيجيتها وخططها التشغيلية، وقد عززوا الغفلة الشعبية والجماهيرية عن دور الوقف الفاعل في التنمية، وإن بمؤامراتهم على الوقف يضعفون قدرة المسلمين في مقاومة المحتل ومناهضته. هذا ما يجعل العقلاء في هذه الأمة وصناع القرار ينتبهون لأهمية الأوقاف في خدمة مشروع التحرير لأرض فلسطين، كل فلسطين.

ولقد ظلت الأوقاف المغربية محفوظة مصانة بأعيانها عبر اختلاف العصور، وخاصة أيام الفتح العثماني عام ٩٢٢هـ- ١٥١٦م، وحتى بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٥هـ، الموافق لـ ١٩١٧م، ولم تتعرض للانتهاك إلا بمجيء العصابات الصهيونية عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م، حيث سطت على جانب مهم من أوقاف أبي مدين وغيرها.

وقد وجد في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس سجل يتحدث عن أشهر وقفيات المغاربة بمدينة القدس وقد أعده العالمان الفاضلان الشيخ محمد أفندي بن محمد بن حميد التونسي، والشيخ محمد أفندي المهدي بن المهدي الجواني الجبلي سنة ١٩٢٣م، وأودعاه في هذه المحكمة، وأودعا نسخة أخرى عند متولي وقف المغاربة في القدس الشريف. ولكن حادث الاعتداء على المحكمة الشرعية بعد عام ١٩٦٧م، من قبل قوات الاحتلال، وهدم حارة المغاربة في العام نفسه كانا سبباً في فقد النسختين، ولحسن الحظ كان المرحوم الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس الشريف يحتفظ بصورة عن هذا السجل، وللشيخ المرحوم الثواب والمغفرة، وفي السنوات الأخيرة تم العثور على

النسخة المفقودة، التي كانت أصلاً موجودة في المحكمة الشرعية، ومنها ظهرت معلومات أساسية عن وقفيات المغاربة، ولله الحمد والمنة.

وقد وجدت بعض الدراسات المتصلة بالموضوع منها:

١- أوقاف المغاربة بالقدس، د. عبد الهادي التازي[١].

٢- وقفيات المغاربة، جمع د. أحمد العلمي[٢].

٣- وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف، للباحث الجزائري د.زعيم خنشلاوي، والباحث الفلسطيني د. محمد الحزماوي[٣].

٤-أوقاف المغاربة في أرض فلسطين، إعداد الباحث عبد الرازق متاني[٤].

نقصد بالمغاربة سكان المغرب الكبير، الذي كان يتسع للمغرب الأدنى «تونس» والأوسط «الجزائر» والأقصى «المغرب»، وتنضاف إلى هذه البلدان الأندلس وموريتانيا. والحق أن معظم الوقف المغربي بالقدس الشريف كان من نصيب المغرب الأقصى بالدرجة الأولى ثم الجزائر في المرحلة الثانية، غير أن الجزائر الجارة الشقيقة كانت جزءا من جغرافية المغرب الكبير في عهد دولتي المرابطين والموحدين.

---

(١) مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

(٢) مطبعة دار الأيتام الإسلامية، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، القدس، فلسطين.

(٣) الناشر: منشورات المركز الجزائري للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ.

(٤) نشره مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، فلسطين، وقد وجدت إعلانا عن البحث في موقع قلنسوة بعد أن أنهيت بحثي ودراستي ولم يتيسر لي الاطلاع عليه.

هذا، وما زالت في فلسطين الجالية المغربية والتي تتجاوز الألف عائلة[1]، ولهم موقع على الشبكة العنكبوتية، ويتواصلون فيما بينهم، وتشغلهم الأوقاف الضائعة منهم بفعل الاحتلال الصهيوني الغاشم، فنسأل الله تحرير الأرض من أعدائها المحتلين، وعودة الأوقاف لأصحابها؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد كان منهاجي في هذه الدراسة:

منهجا استقرائيا: يرتكز على التحقق بالملاحظة المنظمة الخاضعة للتجريب مع التحكيم في التغيرات المختلفة؛ ليصل في النهاية إلى قوانين عامة.

منهجا تاريخيا: يهدف للوصول إلى المبادئ والقوانين العامة في أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية، التي شكلت الحاضر. كثيرا ما يصعب فهم حاضر الشيء دون التعرف على الخلفية التاريخية. ويعتمد البحث التاريخي على دراسة الوثائق التاريخية والسجلات؛ لاستخلاص الحجج؛ وتجميعها من أجل استنتاجات داعمة للحقائق المجهولة، أو تعميمات فيما يتعلق بالأحداث الماضية والحاضرة. وتحديد المشكلة، التي تهمه أو تواجهه. ويقوم هذا المنهج على جمع المادة العلمية عن تلك المشكلة من جميع المصادر المتوفرة. وتمحيص المادة العلمية اللازمة ونقدها وتقويمها. وصياغة الفروض، التي تفسر الأحداث في ضوء ما توافر للباحث من معلومات مدروسة ومقومة، وتفسير وتعليل النتائج، التي توصل إليها.

---

(١) بدليل وجود الجمعية المغربية الخيرية، التي تأسست عام ٢٠٠٢م بالقدس الشريف؛ وهي رابطة أبناء العم في المغرب العربي تعنى بجمع التبرعات وتقديم الخدمات للمحتاجين منهم.

منهجا وصفيا: ولا يعتمد المنهج الوصفي، كما يعتقد البعض، على مجرد وصف ظاهرة معينة موجودة، بل يتعدى ذلك إلى اكتشاف الحقائق، وآثارها، والعلاقات التي تتصل بها، وتفسيرها، والقوانين التي تحكمها. ويصنف المنهج الوصفي إلى:

الدراسات المسحية: ترتكز على دراسة الجوانب المختلفة لظاهرة أو مشكلة معينة في مجتمع أو بيئة محددة، فالغاية هي مسح مشكلة أو ظاهرة معينة لتحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها بصورة موضوعية للوصول إلى تعميمات بشأنها.

الدراسات المتعلقة بالعلاقات المتبادلة: فهي تحاول أن تربط بين المتغيرات المختلفة مع بعضها وتحدد العوامل المشتركة؛ وذلك لتحليل الأسباب.

الدراسات التطويرية: فهي تعنى بمتابعة تطور ظاهرة معينة؛ مثل دراسة النمو عند الإنسان وتطور قدراته أثناء نموه.

ودراستنا هذه تنتمي للجغرافية السياسية أو «الجيوبوليتيك»؛ لأنها الجذر الجبري للتاريخ، وعملية استقطاب له وتركيز.. أكثر من هذا ليس التاريخ إلا «جيوبوليتيك» متحركة[1].. وعلى هذا الأساس تقوم الدراسة الراهنة لمدينة القدس وأوقاف المغاربة بفلسطين.

---

(١) انظر: جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان (القاهرة: الهلال، ١٩٦٨م)؛ استراتيجية الاستعمار والتحرير (القاهرة: الهلال) ص٧- ١١.

الفصل الأول
فلسطين: بطاقة تعريف

تمهيد:

يلزم التعريف ابتداء بأرض فلسطين تصحيحا لبعض المفاهيم المغلوطة والتي روج لها الإعلام الغربي، والغريب أننا سقطنا في تعريفات لا تمت إلى أصالة أرضنا بصلة؛ مما يحملنا على التدقيق. هذا، وقد عالجت هذا الموضوع في المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف فلسطين الحبيبة[1]:

يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام؛ وهي الأرض الواقعة غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ولها موقع استراتيجي مهم؛ إذ تُعدّ الواصلة بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.

---

(١) انظر: محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية، خلفياتها وتطوراتها حتى ٢٠٠١م، ط١ (مصر: مركز الإعلام العربي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م) ص ١٢- ١٥؛ إشراف أحمد المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤م) ١/٣٧، و١/١١٧-١٢٩، و٤/١٧٤، و٣/٢٧٣-٢٧٩.

وأقدم اسم معروف لهذه الأرض هو «أرض كنعان»؛ لأن أول شعب سكن هذه الأرض هم «الكنعانيون» الذين قدموا من جزيرة العرب نحو ٢٥٠٠ ق. م. أما أرض فلسطين بحدودها الجغرافية المتعارف عليها حاليا فلم تتحدد بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩٢٠م-١٩٢٣م، وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ غير أنها ظلت تعبر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن.. وفي العهد الإسلامي قسمت بلاد الشام إلى «أجناد»، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجون، التي تقع على بعد ١٨ كم شمالي غرب مدينة جنين.

وأياً كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءا من بلاد الشام .. ولم تكن مثل هذه التقسيمات توسيعا وتضييقا لتغير شيئا من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم للحكم لا يهتز ما دام مسلما حقا.

وعلى كل حال، فإن مساحة فلسطين وفق التقسيمات المعاصرة تبلغ ٢٧٠٠٠ كم^{٢}. ويمتد ساحلها على البحر المتوسط حوالي (٢٣٥ كلم^{٢})، وكانت ما قبل عام ١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م مقسمة إلى (٦) ألوية و(١٦) قضاء، وبلغ سكانها آنذاك (١,٣٨٠,٠٠٠ نسمة)[١] وتتميز بمناخ معتدل هو مناخ البحر المتوسط،

---

(١) انظر: الأرض المباركة (فلسطين): الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أقعى الاستيطان، (المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م) ص ٦.

يشجع على الاستقرار والإنتاج، ويمكن أن تقسم فلسطين إلى ثلاثة قطاعات: السهل الساحلي[1]، والمرتفعات الجبلية[2]، الوسطى والأخدود الأردني[3].

وفلسطين اليوم موزعة كما يأتي:

- الضفة الغربية: (٨٧٩,٥) كلم^{٢}.
- قطاع غزة: (٣٧٨) كلم^{٢}.
- الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م: (٧٧٠,٢٠) كلم^{٢}.

المبحث الثاني: التعريف بمدينة القدس:

وذلك لأن أوقاف المغاربة تمركزت بالقدس الشريف وضواحيه؛ فلزم التعريف بأهم المدن الفلسطينية، إنها مدينة القدس العظيمة والتي تقع على خط عرض-٦٤، ٥٤ شمال خط الاستواء وعلى خط طول: ٥٣، ٣١، ٥٢ شرق غرينتش.

---

(١) وهي منطقة تركز غالب الفلسطينيين؛ حيث الموانئ ومراكز التجارة، الاقتصادية والزراعية.

(٢) وتشتمل هذه المرتفعات الجبلية على جبال الجليل ونابلس والخليل وهضبة النقب.. وأعلى جبالها ارتفاعا هو جبل «الجرمق» شمال فلسطين، الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٠٧ أمتار، وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار ورعى الماشية.

(٣) وهو حيث يجري نهر الأردن ليصب في البحر الميت؛ فهو يعدّ أكثر المناطق انخفاضا عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو ٤٠٠ متر تحت سطح البحر، وهي مناطق تتميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها للنخيل والموز والخضروات.

ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٣٩٠ إلى ١١٧٣م، وأمطارها شتوية تتراوح سنويا بين ٥٠٠ إلى ٩٠٠ مم، ويندر سقوط الثلج فيها، وليس بها أنهار، وإنما تحيط بها عيون كثيرة، منها: عين أم الدّرج، المعروفة أيضا بعين ستنا مريم، وعرفت القدس منذ القدم بشح مائها، وكان جل اعتمادها على مياه الأمطار، وعلى المياه التي تتجمع على شكل برك، وأهمها: بركة السلوان، والبركة التحتانية المسماة البركة الحمراء، وبئر أيوب، ومن جملة عيون القدس عين اللوزة[1].

ومن أسماء القدس: أور سالم أو أورشاليم؛ ومعناها: مدينة السلام؛ وهو أقدم اسم للمدينة، كنعاني الأصل. وأوروسالك: أكادي الأصل. وأورشليم: في التوراة. ويبوس وإليا وبيت المقدس أو المقدّس والقدس الشريف.

---

(١) انظر: محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، ط١ (دار القلم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) ص٣٣- ٣٤. وكان يوجد بها صهريج لتخزين الماء، وفي عام ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م جرت حكومة الانتداب المياه إلى القدس من عين فارة على مسافة ١٤ كم شرقي المدينة، وبعد عامين أضافت إليها مياه عين الفوار، وفي عام ١٣٥٣هـ- ١٩٣٥م جُرّت إلى القدس مياه عين القلط ومياه نبع رأس العين، وبعد احتلال اليهود للقدس عام ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م ارتبطت بشبكة المياه العامة، التي تعتمد على مياه نهر الأردن وروافده.

وفي ساحات المسجد الأقصى المبارك حوالي (٢٦ بئرا).. وفي المدينة عدة أسبلة منها: سبيل باب السلسلة، وسبيل بركة السلطان، وسبيل قايتباي..إلخ.. ومن الأودية المحيطة بالقدس وادي قدرون شرقا، ووادي السلوان جنوبا، ووادي الجبانة في الجزء الجنوبي الغربي، ووادي الأرواح. انظر: طه أحمد ماردِيني، حوادث من تاريخ القدس، ط١ (دمشق: دار المشرق، دار التيسير، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص١٥-١٨.

المبحث الثالث: مدينة القدس عربية إسلامية:

إن عربية القدس لا يجادل فيها إلا عدو غاشم أو كاتب مزور؛ وثمة ما يرد ادعاءات الصهاينة في حقهم التاريخي والديني المزعوم ببيت المقدس؛ بحيث تتفق الموسوعات والقواميس والمراجع، التي تُعنى بالشؤون اليهودية والإسرائيلية على أن هيرودوس باني المعبد (القصر) في القدس لم يكن يهوديا، بل كان أدوميا من ناحية أبيه وأمه. والأدوميون هم قبائل عربية ورد ذكرها في السجلات المصرية القديمة خلال عصر الأسرة ١٢، التي حكمت بين ٢٠٠٠- ١٧٨٨ ق.م. وكان الأدوميون من ألد أعداء اليهود، وحاربوهم في مختلف العصور، وفي عهد الرومان تمكن ملكهم هيرودوس الأدومي من تأسيس دولة الهدارسة في أوائل العهد الروماني[١].

ومما يؤكد أيضاً عروبة القدس وأنها مدينة عربية إسلامية ما يأتي[٢]:

---

(١) انظر: مصطفى الصباغ، بلادنا فلسطين، ط٢ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣م) ١/٥٠٠. ويؤكد الكتاب المقدس الأصل العربي لهيرودوس، فيذكر أن هيرودوس كان اسما لعدد من حكام فلسطين وملوكها أو بعض أجزائها أو بعض المناطق القريبة منها.. فهو لم يكن يهوديا، وقد بنى أماكن كثيرة في فلسطين لتخليد اسمه، ومنها قيصرية على شاطئ المتوسط، وحصن القدس، وزينها بالملاعب والقصور. انظر: قاموس الكتاب المقدس (بيروت: دار منهل الحياة، ١٩٩٣م) ص٣٣٠-٣٣٤؛ ودراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، ص٤١٦.

(٢) انظر: إسحاق موسى الحسيني، عروبة بيت المقدس (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، يوليو، ١٩٦٩م) ص١٠ وما بعدها؛ عبد بن محمد بركو، المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، ص٢٣-٢٦.

١ - إن بيت المقدس كنعانية- عربية، أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفي سنة. ومن اسمها الكنعاني اشتق اسمها العبري واسمها الغربي.

٢- إن الكنعانيين أنشأوا في البلاد حضارة ضخمة أطنب في وصفها مؤرخو البلاد المقدسة في حين لم ينشئ اليهود حضارة ولم يوفروا أمنا. وكان الكنعانيون خلال ألفي سنة جسرا بين مدن الحضارة على الفرات والنيل، ومنهم أخذ اليونان الحروف ونقلوها إلى العالم. وتأثر الإسرائيليون بحضارة الكنعانيين فأخذوا حروفهم، التي كتب بها العهد القديم، وتأثروا بأسلوبهم الشعري وبدينهم.

٣- دمر الرومان أورشليم التاريخية مرتين ومحوا اسمها جزاء أعمالهم وتحقيقا لنبوءة أنبيائهم ولنبوءة السيد المسيح عليه السلام وبذلك انقطعت صلتهم بالمدينة وبالأرض مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة. وبعد ذلك حل التشرد والاضطهاد بهم منذ الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر للميلاد إلى النازية في أواسط القرن العشرين.

٤- حكم العرب فلسطين نحو ثلاثة عشر قرنا متواصلة خلال حكم الصليبيين ولكن هوية البلاد العربية الإسلامية وما أنشئ فيها من مساجد ومدارس وزوايا وأسواق وصناعات ظلت على حالها حتى في أثناء حكم الصليبيين، وكانت لغة البلاد هي العربية حتى أثناء الحكم العثماني.

٥- كان سكان المدينة المقدسة في أثناء تلك القرون عربا، لسانا وحضارة وقلبا ومشاعر، ولم يكن اليهود أكثرية فيها في أي وقت من الأوقات. وأما اليهود اليوم فقد دخلوا بحيل مختلفة أثناء الحكم العثماني والانتداب البريطاني الظالم.

٦- إن حكومة الانتداب، التي التزمت بسياسة الوطن القومي لم تأخذ بالحجة اليهودية ولم توص يوما بتهويد المدينة، ولو ثبت لليهود ما ادعوا من أكثرية لكانت حكومة الانتداب أول من جاراهم وحقق أطماعهم.

٧- إن اليهود استولوا سنة ١٩٤٨م، على مدينة القدس الجديدة وقسم كبير منها عربي بل فيها أحياء جميع أصحابها وقاطنيها عرب مثل حي النبي داود وحي الطوري وحي البقعة التحتا وحي البقعة الفوقا وحي القطمون، وحق العرب في المدينة الجديدة كحقهم في المدينة القديمة لا ينقضه غزو مسلح وتآمر مدبر!

المبحث الرابع: التعريف بالمسجد الأقصى:

إن المسجد الأقصى يشمل كل المكان الموجود الآن بين الأسوار؛ وهو المخصص للعبادة، ووقعت فيه معجزة الإسراء ليلا؛ وتبلغ مساحته ١٤٠٩٠٠ مترا مربعا؛ وقيل في تسميته الأقصى؛ لأنه أبعد المساجد، التي تزار، ويبتغى بها الأجر من المسجد الحرام، وقيل: لأنه ليس وراءه موضع عبادة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث[1].

---

(١) انظر موقع إدارة الثقافة الإسلامية: www.islam.gov.kw|thagafa

ويقع المسجد الأقصى المبارك جنوب شرق القدس، ويحده من الجنوب الزاوية الختنية، ويليها قرية سلوان، ومن الشرق السور الشرقي في المشترك للقدس والمسجد يليه مقبرة الرحمة، ثم وادي جهنم ثم جبل الزيتون، الذي يطل على المسجد.

ويحده من الشمال كل من حارة الغوانمة، وحارة باب الناظر، وسوق القطانين وحارة باب السلسلة، وموضع حارة المغاربة، التي هدمتها جرافات الاحتلال عام ١٩٧٦م.

ومساحة الأقصى ليست كما يختزله الناس في قبة الصخرة أو المسجد الجنوبي، وإنما هي جميع المساحة المكشوفة بمختلف منشآتها الأثرية والتذكارية كقبة الصخرة ومصلى الجامع المرواني والأروقة والقباب والأسبلة والمساطب والمحاريب والآبار والبرك والقناطر وغيرها من المنشآت، وتبلغ هذه المساحة (١٤٤) دونما[1].

---

(١) انظر بيان رابطة علماء فلسطين: ٨، بتاريخ: ٢- ٤- ٢٠٠٧م.

المبحث الخامس: مشمولات المسجد الأقصى:

يضم المسجد الأقصى ما يأتي:

١- المصلى الجامع[١].

٢- قبة الصخرة[٢].

٣- المصلى المرواني[٣].

٤- الأبواب: ومنها الأبواب الآتية: باب الأسباط، وباب حطة، وباب العتم، وباب الغوانمة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب القطانين، وباب المطهرة، وباب السلسلة، وباب المغاربة، وباب السكينة، وباب الرحمة، وباب التوبة، وباب الجنائز (البراق).

٥- المآذن: ومنها المأذنة الفخرية[٤]، ومئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب السلسلة، ومئذنة الأسباط.

---

(١) شرع في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م، يبلغ طوله من الداخل ٨٠م وعرضه ٥٥ م، ويقوم الآن على ٥٣ عمودا من الرخام، و٤٥ سارية مربعة من الحجارة.

(٢) وهي أقدم أثر معماري إسلامي باق حتى الآن. أنشأه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ابن مروان، وتعتبر من درر الفنون الإسلامية، وبنيت داخل أسوار المسجد الأقصى لتكون قبة للمسجد فوق الصخرة والتي قيل فيها الكثير مما لا يثبت سندا وشرعا، والصخرة عبارة عن شكل غير منتظم من الحجر نصف دائرة تقريبا، أبعادها (٥م×٧م×٣م الارتفاع)، والصخرة تشكل أعلى بقعة في المسجد الأقصى.. انظر موقع: www.islam.gov.kw|thagafa

(٣) يقع المصلى المرواني في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى المبارك، وكان يطلق عليه قديما التسوية الشرقية من المسجد الأقصى؛ انظر الموقع السابق.

(٤) وتسمى مئذنة باب المغاربة، في الركن الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى، أنشأها شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي حيث أشرف على بنائها خلال فترة عمله ناظرا للأوقاف الإسلامية في عام ٦٧٧هـ، ١٢٧٨م.

٦- حائط البراق[١].

٧- المنابر[٢].

٨- المصاطب[٣].

٩- الأسبلة[٤].

١٠- الآبار[٥].

١١- الكأس[٦].

١٢- القباب[٧].

١٣- الأروقة[٨].

---

(١) هو الجزء الجنوبي الغربي من جدار المسجد، يبلغ طوله حوالي ٥٠ مترا وارتفاعه حوالي ٢٠ مترا؛ وهو جزء من المسجد الأقصى، ويعتبر من الأملاك الإسلامية، ويطلق عليه اليهود الآن «حائط المبكى».

(٢) كمنبر برهان الدين الصيفي.

(٣) ولقد هيئت أساسا ليجلس عليها الطلاب من أجل الاستماع إلى الدروس لاسيما في فصل الصيف.

(٤) وهي مواضع المياه، وعدد الأسبلة في ساحات المسجد الأقصى أحد عشر سبيلا.

(٥) ويبلغ عددها ٢٦ بئرا.

(٦) وهو المتوضأ، أي المكان المخصص للوضوء.

(٧) تتألق ساحة المسجد الأقصى بالقباب الجميلة ومنها قبة الصخرة وقبة السلسلة وقبة المعراج.

(٨) يوجد رواقان بالمسجد الأقصى وكلاهما قائم بالجهتين الشمالية والغربية والمقصد منهما الصلاة والتدريس.

المبحث السادس: علماء مغاربة بالقدس الشريف:

إن مما يدل على الطابع الإسلامي لمدينة القدس الشريف تعلق أعلام الدنيا بهذه المدينة المقدسة؛ فيها ولد وعاش المئات من علماء الإسلام، وإن من بركة المدينة أن استقبلت الآلاف من مختلف أنحاء المعمورة وعبر القارات كلها، فمنهم من تعلم فيها ومنهم من علّم فيها في أحضان المسجد الأقصى ومدارسه؛ وكان للمغاربة نصيب من ذلك مما يقوي تعلقهم بهذه الأرض المباركة، منهم الأعلام الآتية أسماؤهم:

١- محمد بن الوليد الطرطوشي، وطرطوشة من الأندلس.

٢- محمد بن علي بن أبي بكر بن العربي، من إشبيليا بالأندلس.

٣- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي من الجزيرة الخضراء بالأندلس.

٤- ياسين بن سهل القابسي، من قابس الخشاب، بتونس.

٥- أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي، من مالقة بالأندلس.

٦- علوان بن إبراهيم من رندة «حصن» بالأندلس.

٧- أبو عبد الله محمد العبدري، من حاحة، قبيلة بربرية بالمغرب.

٨- أبو الفتح عبد الله بن محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني، من تلمسان بالجزائر.

٩- عمر بن عبد الله المصمودي، من المغرب.

١٠- عبد الله بن علي بن سليمان الجمال الغرناطي، من غرناطة الأندلس.

١١- محمد بن علي بن محمد بن محمد مثبت الخولاني الأندلسي، من الأندلس.

١٢- محمد بن جابر الوادي آشي، من وادي آش، قرية شرقي غرناطة بالأندلس.

١٣- خليفة بن مسعود المغربي الجابري المالمي، من قبيلة بني جابر بالمغرب.

١٤- شمس الدين محمد بن علي ابن الأزرق من غرناطة بالأندلس.

١٥- إبراهيم بن محمد بن مبارك البرتي، من المغرب الكبير، ولعله من سبراتا ليبيا.

١٦- محمد فولاذ بن عبد الله المغربي، من المغرب.

١٧- عبد الواحد بن جبارة المغربي، من المغرب.

١٨- عبد الله بن أحمد بن عبد الله المراكشي من مراكش بالمغرب.

وهذه مجرد قائمة لبعض من حل ببيت المقدس من العلماء الأفذاذ وكانت لهم بصمات هناك، وذكرهم التاريخ، ولا شك أن ثمة عشرات من العلماء ممن لم نذكرهم ولاسيما من المغرب الكبير، وفيمن ذكرنا كفاية للتعبير عن مدى تعلق المغاربة بهذه الأرض المباركة، والقائمة مفتوحة إلى قيام الساعة.

الفصل الثاني
تعلق المغاربة بالأرض المقدسة
لقدسية المسجد الأقصى

تمهيد:

كنت تناولتُ هذا الفصل وما يليه ضمن عنوان: «علاقة المغاربة بالأرض المقدسة: الأسباب والتجليات». ولاشك أن ثمة أسباباً حملت المغاربة منذ الفتح الإسلامي الأول لبلادهم على العناية المتميزة بهذه الأرض المقدسة، التي بارك الله فيها وما حولها، ولا تَقِلُّ عن عنايتهم بالحرمين الشريفين: مكة والمدينة، فنحاول عبر هذا الفصل رصد أهم تلكم الأسباب كاشفا اللثام عن أبرز تجلياتها مع تحليلنا جزئيات الموضوع؛ تُرى فما هي الأسباب، التي حملت المغاربة على الوقف بأرض فلسطين؟

إن ثمة جملة من الأسباب الشرعية والواقعية، التي شدّت المغاربة لأرض فلسطين؛ نظرا لطبيعة الأرض بقدسيتها وبركتها ومركزيتها المشعة في قلوب المسلمين طُراً؛ مما يحملهم على أن تتعلق قلوبهم بها ويفدونها بدمائهم وأرواحهم وأموالهم؛ وهذا ما نرصده في المباحث الآتية:

المبحث الأول: لقدسية هذه الأرض وطهارتها:

قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٢١). والمقدسة من التقديس وهو التطهير الإلهي، والبيت المقدس: هو المطهر من النجاسة أي من الشرك، وكذلك الأرض المقدسة[1].

المبحث الثاني: وهي أرض مباركة:

وذلك بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١)، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٨١).

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾ (الأعراف:١٣٧)، كما أن النبي ﷺ قد دعا لها بالبركة؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**، قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: قَالَ: **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا**

---

(١) انظر: الأصفهاني، المفردات (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي) ص٣٩٧.

فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا، قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: قَالَ: هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[1].

المبحث الثالث: أن أرضها أرض خصوبة، وماءها ماء معين جاري:

وذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، قال الضحاك وقتادة: «وهو بيت المقدس»، قال ابن كثير: «وهو الأظهر»[2].

المبحث الرابع: وجود المسجد الأقصى على أرضها؛ وهو ثاني مسجد بُني فيها:

وذلك مما زادها بهاء وجمالا، وأضفى عليها رونقا وقدسية؛ عن أبي ذر الغفاري ﷺ «قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: **الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الْمَسْجِدُ الأَقْصَى**، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا، قَالَ: **أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩٠)، وهو في صورة الموقوف على ابن عمر ﷺ وهو في الحكم المرفوع إلى النبي ﷺ لأن مثله لا يقال بالرأي، وقد جاء مرفوعا في كتاب الفتن من صحيح البخاري برقم (٦٦٨١)، وهو كذلك عند أحمد مرفوعاً.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٣٣٠.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٦) و(٢٤٢٥)، ومسلم برقم (١١٦١). وانظر: ابن الأثير، جامع الأصول، ٩/ ٢٧٥.

المبحث الخامس: المسجد الأقصى هو أول قبلة المسلمين:

إنه أول قبلة للمسلمين، وثالث المساجد مكانة في الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢)، والقبلة التي كانوا عليها هي القدس الشريف حيث المسجد الأقصى.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا... ثُمَّ صَرَفَنَا إِلَى الْقِبْلَةِ»[1].

وتحويل القبلة لم يلغ مكانته، بل بقيت مكانتُهُ عظيمةً في شرعنا الإسلامي الحنيف وفي قلوب المسلمين قاطبة.

المبحث السادس: هي الأرض، التي تشد الرحال إلى مسجدها الأقصى:

لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٢٢)، ومسلم برقم (٥٢٥). وفيه رواية ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو في مكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما تحول إلى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله تعالى إلى الكعبة، انظر: الحافظ أبي بكر البيهقي، السنن الكبرى، ٦/٢، برقم (٢٢٣٤).

الأَقْصَى»[1]. وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى النهي عن السفر وشد الرحال من أجل العبادة إلا ما شملته السنة الصحيحة؛ ومن ذلك الحديث، الذي بين أيدينا؛ فدل على مكانة المساجد الثلاثة، منها المسجد الأقصى، الذي شد قلوبَ الناس إليه في المشرق والمغرب.

المبحث السابع: فضل الصلاة في المسجد الأقصى، ومضاعفتها عما سواها:

لما رواه الطبراني والبزار عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصَّلاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ، وَالصَّلاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلاةٍ، وَالصَّلاةُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِخَمْسِمِائَةِ صَلاةٍ**»[2].

قال رسول الله ﷺ: «**صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى هُوَ، وَلَيُوشِكَنَّ لأَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنٍ**[3] **فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا، قَالَ: أَوْ قَالَ: خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في باب مسجد المقدس برقم (١١٨٩)، ومسلم في كتاب الحج برقم (٣٢٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد للهيثمي، ٤/ ٧.

(٣) الشطن: الحبل ويجمع على أشطان، وقال في المعجم الوسيط: الشطن، الحبل الطويل يستقى به من البئر، أو تشد به الدابة.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٢٣٠)، والحاكم في المستدرك برقم (٨٥٥٣)، وقال حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

المبحث الثامن: وفيها تقال العثرات وتغفر الزلات:

روى الحاكم في صحيحه عن النبي ﷺ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، «سَأَلَ اللَّهَ ثَلاثًا فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ؛ سَأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ- يَخْرُجُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ»[1].

المبحث التاسع: ثبوت أن بعض الصحابة كان يأتيه لهذا السر وهذه البركة:

فنقل عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه كان يَأْتِي إِلَيْهِ فَيُصَلِّي فِيهِ، وَلا يَشْرَبُ فِيهِ مَاءً، لِتُصِيبَهُ دَعْوَةُ سُلَيْمَانَ، لِقَوْلِهِ: «لا يُرِيدُ إلا الصَّلاةَ فِيهِ»[2]، فَإِنَّ هَذَا يَقْتَضِي إِخْلاصَ النِّيَّةِ فِي السَّفَرِ إِلَيْهِ، وَلا يَأْتِيهِ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ وَلا بِدْعَةٍ[3].

---

(١) أخرجه الحاكم برقم (٣٦٢٤)، (٢/٤٧١)، وقال الذهبي: فيه عبد الله هو ابن فيروز ثقة.

(٢) وتمام الحديث عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ثَلاثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاةَ فِيهِ إِلا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». فقال النبي ﷺ: «أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ». أخرجه النسائي برقم (٦٩٣)، وابن ماجه برقم (١٤٠٨).

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٦/٢٧.

وقد دخله أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان القائد العام لجيوش الفتح في الشام، وبلال بن رباح شهد بيت المقدس مع عمر الفاروق وأذّن في المسجد الأقصى، ومعاذ بن جبل استخلفه أبو عبيدة على الناس بعد موته، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول شهد فتح المقدس، وعبادة بن الصامت سكن بيت المقدس؛ وهو أول من ولي قضاء فلسطين ودُفن فيها، وتميم بن أوس الداري وعبد الله بن سلام قدم بيت المقدس وشهد فتحها وهو المشهود له بالجنة وغيره كثير، ولله الحمد والمنة.

المبحث العاشر: فلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم، عليهم السلام:

فعلى أرضها عاش إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى، عليهم السلام، ممن ورد ذكرهم في القرآن، كما زارها أشرف المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وعاش على أرضها العديد من أنبياء بني إسرائيل ممن لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم.

المبحث الحادي عشر: فلسطين مسرى النبي محمد ﷺ ومنه كانت رحلة المعراج:

فقد اختار الله تعالى المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

وقال ﷺ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ، الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ»، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ»[1]. أي ومنه كان معراجه إلى السماء، تشريفاً لهذه الأرض المباركة.

المبحث الثاني عشر: صلاة النبي محمد ﷺ بالأنبياء:

وقد صلى النبي ﷺ حيث أمهم جميعا في الصلاة داخل المسجد الأقصى؛ للدلالة على استمرار الرسالة، التي جاء بها الأنبياء وعلى انتقال ميراث الأنبياء والإمامة إلى الأمة الإسلامية.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩).

المبحث الثالث عشر: لأنها معدن الأنبياء:

بل هي الأرض، التي يرقد في بطنها ثلة من خيرة الأنبياء والمرسلين كإبراهيم الخليل عليه السلام ومكانه معلوم لحد الآن، وإسحاق ويوسف ويعقوب وموسى، عليهم السلام.

المبحث الرابع عشر: إن أرض فلسطين أرض المحشر والمنشر:

لما رواه الإمام أحمد بسنده عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: «يا نبي الله، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ»[1].

المبحث الخامس عشر: أنها أرض المنادي من الملائكة نداء الصيحة لاجتماع الخلائق يوم القيامة:

وذلك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (ق:٤١)، قال قتادة وغيره: «كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ يُنَادِي مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَهِيَ أَوْسَطُ الأَرْضِ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٧٦٢٦)، وابن ماجه برقم (١٤٠٧)، في كتاب الإقامة. قال ابن الجوزي: «قال كعب: العرض والحساب ببيت المقدس»، انظر فضائل القدس، ١٣٧. هذا وقد أفرد أ. د. محمد عثمان شبير الموضوع في سفر جليل بعنوان: «بيت المقدس وما حوله: خصائصه العامة وأحكامه الفقهية»، ط١ (الأردن: دار النفائس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م).

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٤٣٨/١١؛ والدر المنثور، ٦١٢/٧.

قال ابن تيمية، رحمه الله: «وَدَلَّتْ الدَّلائِلُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى أَنَّ «مُلْكَ النُّبُوَّةِ» بِالشَّامِ، وَالْحَشْرَ إلَيْهَا. فَإِلَى بَيْت الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ يَعُودُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ. وَهُنَاكَ يُحْشَرُ الْخَلْقُ. وَالإِسْلامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ أَظْهَرَ بِالشَّامِ. وَكَمَا أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَوَّلُ الأُمَّةِ خَيْرٌ مِنْ آخِرِهَا. وَكَمَا أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَعُودُ الأَمْرُ إلَى الشَّامِ، كَمَا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»[1].

المبحث السادس عشر: المقيم المحتسب بهذه الأرض كالمجاهد والمرابط في سبيل الله:

لقوله ﷺ فيما رواه عنه أبو الدرداء، رضي الله عنه: «**أَهْلُ الشَّامِ وَأَزْوَاجُهُمْ وَذرياتهِمْ وَعَبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ إِلَى مُنْتَهَى الْجَزِيرَةِ مُرَابِطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنِ احْتَلَّ مَدِينَةً من المدائن فَهُوَ فِي رِبَاطٍ، وَمَنِ احْتَلَّ مِنْهَا ثَغْرًا مِنَ الثُّغُورِ فَهُوَ فِي جِهَادٍ**»[2].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤٤.

(٢) أخرجه الطبراني؛ وقال الهيثمي (٤١/١٠): فيه أرطأة بن المنذر، وبقية رجاله ثقات.

المبحث السابع عشر: بلاد الشام وفلسطين منها هي عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن:

وذلك للأحاديث في الباب، منها: «عُقْرُ دَارِ الإِسْلامِ بِالشَّامِ»[1]، وحديث: «أَلا وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»[2].

المبحث الثامن عشر: أنها حاضرة الخلافة الإسلامية في آخر الزمان:

عن ابن حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ ﷺ، قال: «وَضَعَ رسول الله ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ هَامَتِي، ثم قَالَ: يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي (١٠/٤٠): ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم برقم (٨٥٥٤) وصححه.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٥٣٥)، وقال الألباني: «صحيح»؛ كما في صحيح أبي داود، رقم (٢٢١٠).

المبحث التاسع عشر: ثبات أهل الإيمان فيها عند نزول الفتن:

لحديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ، أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلا وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»(١).

المبحث العشرون: أهلها المقاتلون في سبيل الله من الطائفة المنصورة:

إن الطائفة المنصورة الثابتة على الحق إلى يوم القيامة تسكن في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس؛ لقوله ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: **بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل برقم (٢١٢٢٦)، وقال الألباني: «صحيح»؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٣٠٩٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٢٣٢٠)، ورجاله ثقات إلا مهدي بن جعفر الرملي، فقد وثقه ابن حبان ويحيى بن معين، وضعفه البخاري.

وفي رواية أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: قال: «**لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لا يَضُرُّهُمْ خُذْلانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[1].

المبحث الواحد والعشرون: فضل سكناها:

ومن فضائلها أن النبي ﷺ حث أمته ونصحها بسكنى الشام، والمسجد الأقصى وبيت المقدس جزء منها؛ فعن سالم بن عبد الله عن أبيه، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: **عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا: جُنْدًا بِالشَّامِ، وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ**، قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، خِرْ لِي؟ قَالَ: **عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدَرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**»[3].

---

(١) أخرجه أبو يعلى برقم (٦٤١٧).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٥٣٧٥)، والترمذي برقم (٢٢١٧)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وقال الألباني: «صحيح» كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٣٠٩٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٠٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٨٥٥٦)، (٥٥٥/٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح» كما في تعليقه على صحيح ابن حبان.

المبحث الثاني والعشرون: وهي الأرض، التي يتحقق عليها موعود رسول الله ﷺ:

«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلا الْغَرْقَدَ[1] فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[2].

---

(١) والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود. وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة. ويحكى أن اليهود يكثرون من غرسه في بعض المستوطنات!

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٢٢) عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

الفصل الثالث

رحلة المغاربة إلى الأرض المقدسة

تمهيد:

إن الرحلة تشكل فنا رائعا وأدبا مرونقا؛ حتى عرف في تراثنا ما اصطلحوا عليه بأدب الرحلة.

وقد أسهم في إثرائها المغاربةُ على اختلاف مشاربهم، وأبدعوا في تراجمهم، ومصنفاتهم، التي ضمّنوها كل مشاهد الرحلة ومروياتها.

وثمة مكتبة مورقة للرحالة المغاربة، غير أن معظمها انصب حول البيت العتيق؛ لأجل أداء مناسك الحج أو العمرة، وسميت بالرحلات الحجازية.

ووجدت الرحلة إلى المسجد الأقصى لأغراض متنوعة منها المجاورة للمسجد الأقصى، أو لطلب العلم ونشره، أو لاستكشاف الجغرافية المقدسة من عالمنا الإسلامي.

كل ذلك حفز المغاربة ونهزهم على شد الرحال لهذه الأرض المقدسة؛ وهذا ما نرصده في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الرحلة الدينية لمجاورة المسجد الأقصى:

بناء على ما سلف من فضل المسجد الأقصى والبركة الحاصلة فيه وما حوله من ربوع فلسطين، يُعد عاملا قويا في حمل الناس عامة وأهل العلم والفضل خاصة من أجل مجاورة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

فمع الزمن صارت **المجاورة سببا مهما ومستقلا** في شد الرحال والتفكير في الاستقرار بعين المكان حتى صارت فيه ثلة من العلماء عرفوا بالمقدسيين كابني قدامة المقدسيين صاحبي المغني والشرح الكبير.

وتحكي كتب التراجم عن عبادة بن الصامت الصحابي الجليل ﷺ حيث رحل لبيت المقدس وتوفي بها عام ٣٤هـ، وكذا شداد بن أوس الأنصاري نزل بيت المقدس وتوفي بها عام ٥٨هـ، وأبو ريحانة الأنصاري الصحابي الجليل كلهم ماتوا ببيت المقدس، وغيرهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ممن نزل هذه الأرض المباركة وجاورها لمدة من الزمن كإبراهيم بن أدهم وأبي حامد الغزالي.. وغيرهم كثير.

فقد كان من نصيب المغاربة أن يجاوروا المكان الطيب المبارك وعلى رأسهم، **الإمام محمد الطرطوشي الفهري المالكي**؛ بحيث رحل إلى المشرق العربي عام ٤٩٦هـ، وقدم بيت المقدس وحج وتفقه على أبي بكر الشاشي وسكن الشام ودرس بها وكان من جملة المجاورين لبيت المقدس، رحمة الله عليهم جميعا.

وإذا كانت المشاعر الدينية هي الغالبة على هذه الزيارة، فإن بعض الرحالة اكتفوا بزيارة المسجد الأقصى والإكثار من الصلوات فيه ووصف أوضاعه وتاريخه كما فعل أبو القاسم الزياني في «الترجمانة الكبرى»[1].

كما أن الكثير من أعلام المغرب أقاموا هناك لبضع سنوات، كأمثال **الشيخ سيدي صالح حرازم** المتوفى بفاس أواسط القرن السادس، و**الشيخ المقري التلمساني** صاحب كتاب «نفح الطيب» وغيرهما.

وقد اعتاد المغاربة على الجوار بالبقعة قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم وفي أقرب نقطة للمسجد الأقصى تحريا للفضل والزلفى؛ وعليه فقد أوقفها عليهم الملك الأفضل عام ٥٨٩هـ، الموافق ١١٩٣م.

هذا، وقد حظي الجوار المغربي للحرم المقدسي بعناية رسمية وأهلية على مستوى الوقف. وقد نصت مختلف حجيات الوقف ووثائقه على أن المغاربة، سواء كانوا عابرين أو مقيمين، هم المعنيون وحدهم بالعقارات الموقوفة وعلى رأسها حجية أبي مدين شعيب المحررة بتاريخ: ٧٢٠هـ، الموافق ١٣٢٠م، وهي على سبيل المثال لا الحصر، حيث تنص الوثيقة على أن «كلا من قرية عين كارم والإيوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف أو القادمين إليه»[2].

---

(١) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلالي (الرباط: ١٩٦٧م).
(٢) انظر نص الحجية من الفصل المخصص لأوقاف المغاربة بفلسطين.

وفي حالة انقراض المغاربة من مدينة القدس فإن الوقف يرجع إلى المغاربة المجاورين بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة.

وقد نصت حجية وقف السلطان الملك الأفضل نور الدين عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، على المساواة بين جميع المغاربة في الاستفادة من العقارات الموقوفة، بل ونصت الوثيقة على أن الحارة موقوفة «على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم، ذكورهم وإناثهم، كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم»[1].

المبحث الثاني: الرحلة لتحصيل العلم والاستفادة من علماء بيت المقدس:

شكّل طلبُ العلم والرغبة في تحصيله إحدى دواعي رحلة المغاربة إلى بيت المقدس، فعلاوة على أن الأعلام المغاربة كانوا أخاديد العلم وأساطينه، غير أنهم خرجوا يتلمسون ما لم يحصلوه في بلادهم، فاشرأبوا إلى مزيد من التكوين العلمي الرصين، ولاسيما في العلوم، التي لا يتقنونها، بحيث لم يكتب لهم الجلوس فيها لأقطابها، فتطلعت همُمهم الشامخة إلى امتلاك ناصية علوم ربما فاتهم تداركها لدى مشايخهم والمتقنين لها في عقر ديارهم بالمغرب والأندلس.

---

(١) وسيأتي بيان ذلك عبر هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

ولقد كان من ذلك ما تميز به بيت المقدس من مجالس المناظرات بين أقطاب الديانات السماوية الثلاث إلى جانب احتضانه لمختلف الفرق الكلامية كالكرامية والمعتزلة والمشبهة والإمامية، إضافة إلى التناظر بين المدارس الفقهية مثل الشافعية والحنفية[1] ضمن الخلاف العالي والفقه المقارن.

- في مجال علم الكلام وأصول الدين:

كان بيت المقدس فضاء رحبا لحوار الأديان، نظرا لخصوصية المكان، وتعدد التيارات الفكرية به، وكذا مختلف التوجهات العقدية، وقد ساعد ذلكم الجو العام على استيعاب قواعد هذا العلم وامتلاك ناصية مناهجه.

فقد كان العلامة المغربي أبو بكر ابن العربي المعافري مواظبا على حضور مجالس الفرق والطوائف تارة باعتباره طالب علم متعطشا ومستمعا، وتارة أخرى باعتباره متناظرا.

فقد حضر مجلس مناظرة بين التُّستَري اليهودي وأبي بكر الطرطوشي بإفحام اليهودي «فبهت الخصم وانقضى الحكم»[2].

كما أنه فاوض، رحمه الله، الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود[3].

---

(١) انظر: ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني، ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م) ص٩٤.

(٢) انظر: قانون التأويل، ص٩٦.

(٣) انظر: قانون التأويل، ص٩٥؛ والعواصم من القواصم، ص٦١.

- في مجال الأصول والخلاف:

لقد عكف ابن العربي على تحصيل الخلاف وأصول الفقه دهرا بالقدس الشريف حيث برع فيه بعض الأساتيذ الفضلاء من مدرستي الحنفية والشافعية. ولما استعصى عليه استيعاب ما دار من مناظرة فقهية بالمدرسة الشافعية عند أول وروده بيت المقدس فقد كان هذا التحدي العلمي عاملا أساسيا في إرجائه، رحمه الله، السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج[1].

وكان فضيلته يتردد كثيرا على مدارس الحنفية والشافعية يوميا «لحضور التناظر بين الطوائف»[2].

وقد أشار فضيلته، رحمه الله، إلى مناظرة فقهية حضرها بمدرسة أبي عتبة الحنفية بالقدس الشريف[3].

- في مجال الزهد والسلوك إلى الله:

السلوك إلى الله أو التصوف؛ وقد عدّ ابن خلدون[4] التصوف من جملة العلوم الشرعية الحادثة على الملة الإسلامية بحيث لم يكن التصوف مصطلحا متداولا عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وأما من حيث الممارسة فإن الشائع آنذاك هو الزهد المبني على الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا بزخرفها وزينتها.

---

(١) انظر: قانون التأويل، ص٩١-٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠٢.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون، ٣/ ١٠٩٧.

هذا، وقد كانت لابن العربي، رحمه الله، صفحات متينة من صبره على شدائد العلم والتحصيل، والتنقيب عن أرباب الصناعة في مجال الزهد والسلوك إلى الله تعالى، وقد تمكن من بعضهم في رحاب القدس الشريف والمسجد الأقصى فجلس إليهم.

وكان من جملة من جالسهم حقا وصدقا:

- **أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي المتبتّل** (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م): لقيه في جمادى الآخرة سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[١].

- **عطاء المقدسي الزاهد**: لقيه بالمسجد الأقصى وسماه شيخ الفقهاء والفقراء، ودار بينهما حديث حول البكاء والتباكي[٢].

- **أبو عثمان سعد بن حسان الصوفي الطليطلي**: جاور المسجد الأقصى لعدة أعوام، وساح في بلاد المشرق حتى بلغ أقصاه لمدة أربعين سنة، وصحب أقطاب التصوف حتى أصبح مقدما في الصناعة[٣].

- **أبو بكر الفهري محمد بن الوليد الطرطوشي** (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٧م): لقيه بالمسجد الأقصى، ونفع الله به في العلم والعمل[٤].

---

(١) انظر: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ١/ ٣٣، وسراج المريدين، الورقة، ص٧٣.

(٢) انظر: نفح الطيب، ٢/٢١٥.

(٣) عارضة الأحوذي، ٩/٣٤-٣٥.

(٤) انظر: قانون التأويل، ص٩٣.

المبحث الثالث: الرحلة الإشعاعية التعليمية:

لقد كانت الرحلة منحة، ووساما يُحلّى بها أعلام المغرب؛ ولعل أبرز مقاصدها أن يكون لهم طلاب وتلاميذ متنوعون في مختلف البلاد الإسلامية والعربية، مغربا ومشرقا، وكان من هؤلاء الرحالة أبو بكر الطرطوشي، وبعد رحلته العلمية عبر مكة وبغداد والبصرة دخل بلاد الشام حوالي ٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م، بعد أن أتم تعلمه ودراسته.

هذا، وقد أجمعت المصادر، التي ترجمت لصاحبنا الطرطوشي أنه قضى الفترة، التي عاشها في الشام يعلم الناس فأقبلوا عليه وأفادوا منه ونهلوا من معينه وعلمه.. وكانت الفنون، التي أتقنها ولقنها لطلابه وعلمها بالمشرق العربي وفلسطين خاصة تتجلى في الحديث والفقه والأصول والتفسير والزهد[1].

وحين نقرأ عن أبي بكر ابن العربي المعافري كما مر معنا قريبا، فإنه يعد بحق من أبرز طلبة الطرطوشي وأوفرهم حظا بلقائه حيث تيسرت له سبل التلقي عنه، وتذللت له فرص اللقاء به ومجالسته في حلقاته بالقدس الشريف، وذلك في موضع يسمى السكينة؛ حيث وقف ابن العربي على هدي شيخه فامتلأت عيناه وأذناه منه، وانفتح به إلى العلم كل باب، وانتفع به في العلم والعمل، وتيسر له على يديه أعظم أمل[2].

وكان أبو عبد الله محمد العبدري المغربي أحد علماء القرن السابع الهجري، الذين درسوا في مدارس القدس[3].

---

(١) انظر: الصلة، ص١٢٧٧.

(٢) انظر: قانون التأويل، ص ٩٣.

(٣) انظر: سلامة الهرفي البلوي، المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس (من دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس) ص٢٧١.

المبحث الرابع: الرحلة السياحية الاستكشافية واستطلاع المآثر:

علاوة على طبيعة الرحلة الدينية المشحونة بالنفحات الإيمانية لمجاورة المسجد الأقصى، فإن بعض الرحلات تغيّبت الجانب العلمي والاستكشاف الجغرافي كما هو معلوم في أدب الرحلة بحيث نهزت بعضَهم إلى استكمال معارفه عن «بلاد الشام»، كما فعل أحمد المقري، الذي زار القدس حوالي سبع مرات، ومع ذلك لم يخصص لها من كتابه الضخم «نفح الطيب» سوى بضعة أسطر ليست بذات قيمة[1].

وكان من أبرز هؤلاء الرحالة أبو بكر ابن العربي المعافري، رحمه الله، في رحلته إلى بلاد الشام وإلى فلسطين خاصة ولاسيما القدس الشريف، وقد أطلعنا في رحلته على المعالم الأثرية، التي سود بها صفحات كتبه كلما سنحت المناسبة ودعا المقام لذلك ولو في كتاب أحكام القرآن، والعجيب أن يتولى وصفها بدقة متناهية وروعة خارقة، ومن ذلك على سبيل المثال:

- محراب داود[2] عليه السلام:

وصفه بأنه بناء عظيم من حجارة صلدة يقدر طول الحجر بخمسين ذراعا وعرضه بثلاثة عشر ذراعا، له باب ومدرجة، ويحتوي على الدور والمساكن، ويوجد في أعلاه مسجد.

---

(١) انظر: أحمد المقري، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٨٨م) ١/١٥٤.
(٢) انظر: أحكام القرآن، ٤/١٥٩٨.

- الشجرة الأثرية[1]:

وهي شجرة زيتونة بين محراب زكريا وبين باب التوبة والرحمة، ويعتقد أنها الشجرة المذكورة في القرآن عند قوله تعالى:

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).

- صخرة المائدة[2]:

وهي صخرة صلدة ارتفاعها أسفل من القامة بحوالي الشبر، وحولها حجارة مثلها، ولها درجتان، قبلة وجوفا، وقطعت هذه الصخرة من الأرض محلا لنزول المائدة من السماء. يقول تعالى:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا

---

(١) أحكام القرآن، ٣/٣٨٨.

(٢) أحكام القرآن، ٢/٥٢٣-٥٢٤.

مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:١١٢- ١١٥).

- **قبر يونس**[1] عليه السلام:

يوجد بقرية جلحون بين المسجد الأقصى ومقام إبراهيم الخليل.

- **قبر يوسف**[2] عليه السلام:

يوجد قبلة قبور آبائه إبراهيم وإسحاق وزوجاتهم.

المبحث الخامس: نماذج من الرحالة الكبار، الذين نزلوا القدس الشريف:

ثمة عدد لا بأس به من الرحالة المغاربة، الذين شدوا الرحال إلى بلاد الشام وفلسطين والقدس الشريف واختلطت رحلاتهم فامتشج فيها التعلم والتعليم والجوار والسياحة الاستكشافية للمآثر ورصد الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.

وكان من هؤلاء الكبار ما نعلق عليهم عبر المطالب الآتية:

---

(١) أحكام القرآن، ١٦٢١/٤.

(٢) المصدر نفسه.

المطلب الأول: رحلة ابن بطوطة:

كان الرحالة ابن بطوطة من جملة من تيمموا شطر المسجد الأقصى، واستكشفوا معالم البلاد، وضمنوها كتب الرحلة؛ فقد وصف مسجد الصخرة المشرفة، التي بنيت في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)، ولميزة قبته المعمارية من حيث زخرفها وهندستها فقال ابن بطوطة يصفها:

«وهي من أعجب المباني وأثمنها وأغربها شكلا، وقد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها.

وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط القبة الصخرة الكريمة، التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي ﷺ عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير: ارتفاعها نحو قامة أيضا، ينزل إليها على درج، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة من حديد شباكان اثنان، محكما العمل، يغلقان عليها، أحدهما، وهو الذي يلي الصخرة، من حديد بديع الصنعة، والثاني من خشب.

وفي القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب ﷺ»[1].

المطلب الثاني: رحلة أبي سالم العياشي[2]:

إن للعياشي[3] كتبا كثيرة[4] غير أن معظمها ما يزال مخطوطا والذي يهمنا منها رحلته المشهورة بـ«ماء الموائد»[5]، أو «الرحلة العياشية»؛ وهي مطبوعة؛ وعنوانها يشي بأنها عمل لا غنى عنه كما لا يستغني الإنسان عن الماء، سواء في الموائد أو غيرها.

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٥٨

(٢) ولقد نالت رحلة العياشي عناية بعض الباحثين على رأسهم د. أبو القاسم سعد الله، الأستاذ بجامعة آل البيت بعمان، الأردن، في بحث بعنوان: «مع العياشي في رحلته إلى القدس»، وقد أفدتُ منها، انظر موقع على الرابط الآتي:

www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad10partie8.htm

(٣) والعياشي: هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكنى أبو سالم، نسبة إلى قبيلة آيت عياش البربرية القاطنة بنواحي سجلماسة جنوب غربي المغرب الأقصى؛ ولد سنة ١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧م، وتوفي سنة ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩م. انظر: ترجمة «العياشي» في «**الأعلام**» للزركلي الجزء الرابع؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ٢١١/٢؛ **وصفوة من انتشر**؛ **ومناقب** الحضيكي؛ **وخلاصة الأثر**، ٧٠/٣؛ **وإعلام النبلاء**، ٣٨٧/٦؛ **ودليل مؤرخ المغرب**، ٢٤٧/١؛ **وبروكلمان**، ٣٥٧/٢؛ انظر: عبد الرحمن الجبرتي في **عجائب الآثار** (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٠م) ص١١٥.

(٤) وقد ذكر له المترجمون سبعة تآليف من غير الرحلة.

(٥) فقد طبعت طبعة حجرية في آخر القرن الماضي، ١٨٩٨م، وقد أشرف محمد حجي على استخراج ما فيها من أعلام، وأعيد تصوير طبعة فاس بفهارس جديدة، سنة ١٩٧٧م.

وها هو الرحالة يعقد العزم على الرحلة إلى فلسطين؛ كاشفا عنها بقوله: «تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف وزيارة ثالث الحرمين ومشاهدة الأرض المقدسة المباركة، ومعاينة آثار الأنبياء، وزيارة الخليل وبنيه، عليهم الصلاة والسلام. وكان ذلك يختلج في أفكارنا أيام المجاورة كلها، ونرغب إلى الله تعالى في تيسير ذلك في رمضان الإجابة، وهي إحدى المسائل التي سألت الله تعالى فيها بالملتزم... فمنَّ الله بالإجابة»[1].

وقد رحل العياشي إلى غزة ولقي العالم عبد القادر الغصين والشيخ عمر الشرقي قاضي الحنفية[2] بغزة، وكان العياشي يرغب في زيارة عسقلان، ولكنه اكتفى برؤيتها من بعيد.

وقال: إن البساتين ممتدة من غزة إلى عسقلان. وعد من مزارات غزة قبر هاشم بن عبد المطلب جد الرسول ﷺ، وقبر الإمام الأوزاعي، ومولد الإمام الشافعي.

وبعد إقامة خمسة أيام في غزة، ارتحل العياشي عنها من الثاني عشر من صفر ١٠٧٤هـ. واكترى هو وصاحباه حمارين إلى الرحلة. وتخففوا من

---

(١) انظر: الرحلة العياشية «ماء الموائد»، ٣٠٠/٢.

(٢) وهو صهر الشيخ الغصين، وذكر العياشي أن سلف الشيخ الشرقيّ كانوا من أهل العلم، وأنهم ازدادوا وجاهة بمصاهرتهم لآل الغصين. وقد أعطانا العياشي صورة عن حياة بعض العلماء وتعلقهم بالمناصب، حين قال إن الشيخ الشرقي كان شافعياً، وعند وفاة القاضي الحنفي، قرر أن يتحول إلى مذهب أبي حنيفة حتى يتولى الخطة ويتقرب من أرباب السلطة. وقد تقزز العياشي من هذا السلوك وانتقده. انظر: الرحلة العياشية، ٣٠٨/٢.

بعض حوائجهم فتركوها في غزة لحين الرجوع. وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر الغصين رسائل إلى أعيان الرملة[1] والخليل والقدس، يوصي به وبأصحابه خيراً.

وقد وصل العياشي إلى القدس، ولم يكن غرضه سوى التعرف على أهل العلم والصلاح علاوة على زيارة الأماكن الأثرية ولم يخض في وصف الأسواق وغيرها، لكنه خص في رحلته الحديث عن قبة الصخرة، وزاوية المغاربة، وبعض أبواب المدينة.

---

(١) اللافت أن مقصد العياشي الرئيس كان ملاقاة العلماء وأهل الصلاح والتصوف، والحصول منهم على الإجازات وتضمين ذلك في رحلته؛ وكان هذا جزءا من فوائد الرحلة لدى الرحالة المغاربة قاطبة، فعندما نزل العياشي بالرملة، اعتنى بالمعنيين بالشأن الديني، ولا سيما أولئك الذين حمل إليهم الرسائل من الشيخ الغصين. فقد نزل العياشي وصاحباه عند محمد بن أبي الوفاء "الأشعري الحسيني"، وهو الذي كتب إليه الشيخ الغصين رسالة يوصيه فيها بالزوار المغاربة، واعترف العياشي بأن الشيخ أبا الوفاء قد أحسن إكرامهم وأحلّهم مقاماً طيباً، ولم يأخذ منهم شيئاً في المقابل. وأخبرنا العياشي أن أبا الوفاء كان من فقهاء الشافعية، وأنه كان قد تولى القضاء بالقدس، وأن منزله بالرملة كان موئلاً للأعيان والأفاضل، ورافقه أبو الوفاء إلى الشيخ خير الدين الرملي يوم ١٤ صفر. ونعرف من العياشي أن الرملي كان طاعناً في السن، وأنه سمع منه الحديث المسلسل وأوائل الكتب الستة وكتب إليه إجازة بذلك. ومن أخبار الشيخ الرملي أنه قد غرس آلاف الأشجار في الرملة، وأن الناس قلدوه في هذا العمل، وأنه لم يتولّ ولاية ولا منصباً، وأنه المرجع في الفتوى ببلاد الشام، انظر المصدر السابق، ٢/٣١١؛ وقد نص العياشي في رحلته على أن من مزارات الرملة قبر المقداد بن الأسود، ومشهد يقال إنه لعبد الرحمن بن عوف. ورجح العياشي أن ابن عوف قد توفي في المدينة على القول الصحيح، وقال: إن أصل جامع الرملة كان كنيسة، وإن الفتح الإسلامي في الرملة كان بعضه صلحاً وبعضه عنوة، فكان الجامع مناصفة تبعاً لذلك. انظر الرحلة العياشية: ٢/ ٣١٤.

وقد لقي العياشي أعلاماً بالقدس على رأسهم الشيخ محمد النفاتي[1]، وشهاب الدين الحنفي المصري[2]، والشيخ عمر العلمي[3]، والشيخ محمود السالمي[4] وغيرهم كثير.

---

(١) وهذا الشيخ تونسي الأصل. وقد تقلد قضاء القدس بعد أن قدم من إسطانبول، وكانت للشيخ النفاتي وجاهة عند السلطان وعند العسكر، وقد جاءته هذه الوجاهة من أخيه علي النفاتي (أبو الحسن) الذي توفي. وكان الشيخ محمد النفاتي قد استوطن اسطانبول سنوات قبل تقلده القضاء بالقدس في هذه السنة ١٠٧٤ هـ. ولاحظ عليه العياشي أنه لا يملك قوة الحافظ العلمية، وإنما كان ينتمي إلى الصلاح بسبب أسلافه.. اتصل العياشي بالشيخ النفاتي، فأكرمه إكراماً زائداً، وأظهر البهجة والسرور به، وطلب من أصحابه أن يهيئوا المنزل وضرورات المعيشة للعياشي ورفيقه. ولكن العياشي أخبره أنهم قد نزلوا في بيت بالمسجد الأقصى، وأنه لا يمكنه التحول منه لراحتهم فيه وقربهم من المسجد، فاكتفى النفاتي بتوفير حاجتهم من لحم وخبز ونحوهما.

(٢) فقد وصل إلى علم العياشي أنه من كبار العلماء الذين نزلوا القدس وتصدروا للتدريس في علم الحديث؛ فاشتاق العياشي إلى لقائه. ويذكر العياشي أنه كان يجله على السماع، ورجع إليه في يوم فوجده يقرئ مناسك الحج على مذهب أبي حنيفة؛ وجرى ذكر التروية، فقال الشيخ: إنها مشتقة من الرؤية، فاعترض العياشي وقال: إنها من التروي بالماء، فأبى الشيخ ذلك، وجرى بينهما الخلاف حول مسائل أخرى، ورجعا إلى الكتب وانتصر العياشي فحالفه الصواب؛ ولم يسع الشيخ شهاب الدين سوى الانتقال من القدس بعد يومين عائداً إلى مصر. وقد انتقده العياشي في الرحلة فقال: «ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المخلصين بها فضلاً عن المحققين»، انظر: الرحلة العياشية، ٢/ ٣٢١.

(٣) أشاد العياشي بأسرة العَلَميّ المعروفة بالوجاهة والعلم ولاسيما ممن عاصرهم ولقيهم كالشيخ عمر بن عبد الصمد بن محمد واعتبره من شيوخه، الرحلة العياشية، ٢/٣٢٤-٣٢٥.

(٤) وقد كان من ملازمي الشيخ عمر العلمي، وممن شهد إجازة الشيخ العلمي لأبي سليم العياشي، ونوه بها في رحلته عبر صفحات. انظر: الرحلة العياشية، ٢/٣٢٦-٣٣٠.

المطلب الثالث: رحلة محمد بن عبد الوهاب المكناسي:

إن السلطان «سيدي محمد بن عبد اللّه»، الذي حكم المغرب ما بين ١٧٥٧م- ١٧٩٠م أوفد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، وتحديداً في أول شهر محرم من عام ١٢٠٠هـ، وفداً إلى السلطان العثماني في إسطنبول، برئاسة وزيره الثقة وسفيره «محمد بن عبد الوهاب المكناسي»، الذي قام برحلاتٍ متعددة إلى بلاد كثيرة، ولكن اشتهرت رحلته إلى البلاط العثماني وزيارته إلى فلسطين وبيت المقدس في كتاب سماه: (إحراز المعلى والرقيب في حج بيت اللّه الحرام، وزيارة القدس الشريف، والخليل، وقبر الحبيب)[1].

---

(١) وقد زار المكناسي مدينة دمشق، وتوجّه منها لزيارة عكا يوم ٩ ربيع الأول عام ١٢٠٢هـ وكتب في ذلك يقول: ولما قربنا منها أرسلنا من يكتري لنا داراً ننزل بها، فطاف البلاد كلّها فلم يجد منزلاً، فسمع بذلك الوزير صاحب البلد «أحمد باشا الجزار» فعيّن لنا منزلاً مشرِفاً على البحر في أحسن حال، ولهذا الوزير أثر كبير بهذه المدينة، وهو الذي شهرها وبه اشتهرت، وأهل البلد يثنون عليه كثيراً، وله جرايات على الضعفاء والفقراء ورواتب للذين لا يسألون الناس إلحافاً. وقد قضى الرحالة المكناسي تسعة أيام في عكا، زار معالمها، وتعرّف على عادات أهلها، ومن الطريف أنّه سعى لترتيب رحلة عودته إلى المغرب عن طريق البحر على متن سفينة، وكانت السفينة ترتّب أمور السفر، الذي يستغرق وقتاً وتحضيرات طويلة، فلم يشأ الرحالة المكناسي أنْ يضيع الوقت بالانتظار من غير فائدة فقرّر القيام برحلة سريعة لزيارة بعض مدن فلسطين، وأهمّها زيارة بيت المقدس، وقد كان له ذلك، فزار مدينة نابلس، وقال عنها: هي متوسطة بين جبال مرآها حسن، وبناؤها كله بالحجارة المنحوتة وماؤها كثير وذات بساتين، إلا أنّ أزقتها كثيرة العفونات والطريق إليها من قلعتها في صعود وهبوط وحجارة.

أمّا خلال زيارته للقدس فقد كان مبهوراً بمعالمها وآثارها والمقدسات الكثيرة فيها، وقد قال في كتابه عن بيت المقدس: «لها سور حصين، مبنيّ بالحجارة في غاية الإتقان، وأبوابه حصينة الإغلاق، ستة هي: باب العمود، باب الزاهرة، باب الأسباط، باب المغاربة، باب النبي داود والخليل وكان أول ما فعلناه أنْ توجّهنا للمسجد الأقصى، فدخلنا أولاً إلى قبة الصخرة».

وهنا الرحالة المكناسي يتدفق قلمه للتعبير عن مشاعره تجاه المدينة والمسجد الأقصى المبارك في وصف بنائه والقبة والأعمدة وصفاً في غاية الروعة والبيان؛ فيقول في وصفه للمكان تحت الصخرة: «والمكان تحت الصخرة كثير الأنس، يجد الإنسان فيه نشاطاً وخفة، وانشراحاً لعبادة اللّه».

ويقول في وصف المسجد: «محرابه، بناؤه، وهو مكسو من داخله بألواح من الرخام عددها سبعة عشر، ثمانية بيض وحمر ترمز إلى صلاتيّ الظهر والعصر، وثلاثة سود ترمز إلى صلاة المغرب، واثنتان خضراوان ترمزان لصلاة الصبح، وأبوابه أحد عشر باباً، والمسجد مسوّر». وفي إشارة خاطفة للسكان في رحاب وأكناف بيت المقدس يقول: «ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة، وميل إلى مؤانسة الغريب، ومسامرته والمحادثة معه»[1].

---

(١) وامتدّت زيارته إلى الطور، يقول: «ومن جبل الطور يظهر بيت المقدس في غاية البهاء والابتهاج وحسن المنظر، وكذا من جهة القبلة» وقد عاد لزيارة مدينة الخليل، وقال: «هي في قبلة القدس، أشبه شيء بمكة عند أول نظرة، مبنية على جبال، فزرنا خليل الرحمن عليه السلام وزوجته أم الأنبياء سارة». انظر موقع:
www.alquds-online.org/index.php?s=12&ss=13&id

الفصل الرابع
حقيقة الوقف الإسلامي

تمهيد:

إن مسألة الوقف قد طرقها الفقهاء قديما وحديثا[1]، بحيث كان له دور فاعل في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية الطبية والصحية. ومن ثمة فقد كان للمغاربة نصيب منه في الديار المقدسة ولاسيما في القدس الشريف، الذي حظي عندهم بعناية كبيرة جدا. تُرى فما المراد بالأوقاف الإسلامية؟ وماذا نقصد بالمغاربة؟

هذا ما نجيب عنه من خلال هذا الفصل وفق الآتي:

---

(١) كتب الكثير في موضوع الوقف، من ذلك الآتية:

١. أحكام الوقف، مصطفى الزرقا، مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٧م، دمشق.
٢. إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية، لفؤاد عبد الله العمر سلسلة الدراسات الفائزة بجائزة الكويت الدولية لأبحاث الوقف لعام ١٩٩٩م.
٣. إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية د. أسامة عبد المجيد العاني، سلسلة كتب الأمة، العدد (١٣٥) قطر.
٤. الوقف و دوره في التنمية، د. عبد الستار إبراهيم الهيتي، ط١، ١٩٩٨م، وزارة الأوقاف، الدوحة.
٥. أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، د. أحمد عوف عبد الرحمن، سلسلة كتب الأمة رقم: (١١٩). الوقف في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. منذر قحف، مركز البحوث والدراسات، قطر.

تعريف الوقف:

الأوقاف جمع لوقف؛ والوقف في **اللغة** هو الحبس والمنع والإمساك. وقفت الدابة: حبستها و أبّدتها، أي جعلتها في سبيل الله إلى الأبد. وأوقفتُ: لغة تميم رديئة أنكرها الأصمعي. والأصل وقَفتُ بغير ألف. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات:٢٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام:٣٠).

والوقف في **اصطلاح الفقهاء**: هو حبس الأصل وتسبيل ثمرته. قال ابن حجر: «إنه قطع التصرف في رقبة العين، التي يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة». لكنه بشرط أن لا يتعلق به حق الغير؛ فلا يصح وقف المرهون أو المؤجر.

- أدلة مشروعية الوقف:

- مشروعية الوقف في الكتاب والسنة:

مشروعية الوقف في الكتاب العزيز:

- قوله تعالى: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج:٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٩٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل:٢٠).

- مشروعية الوقف في السنة المشرفة:

- ما رواه الشيخان «عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنْ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ:

«إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»[1].

قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ».

- وعن عثمان بن عفان أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ، فَقَالَ:

«مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي»[2].

- قوله ﷺ: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**[3].

- وقوله ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٦)، ومسلم برقم (١٦٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٠٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

قوام التنمية في وظيفة الوقف:

الإسلام لا يحصر التنمية في الجانب المادي فحسب، بل يتعداها إلى الفرد والمجتمع والإنسانية. وتقوم التنمية على: تحقيق الاحتياجات البشرية كافة من: مأكل، وملبس، ومسكن، ونقل، وتعليم، وتطبيب، وترفيه، وحق العمل، وحرية التعبير، وممارسة الشعائر الدينية[1].

- أركان الوقف:

اكتفى أبو حنيفة أن يكون للوقف ركن واحد هو الصيغة، والجمهور على أنها أربعة هي:

١- الصيغة (ألفاظ الوقف)[2].

---

(١) انظر: إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، ص٧٢.

(٢) والصيغة هي اللفظ الدال على إرادة الوقف؛ وينقسم إلى قسمين:

١- **صريح:** كأن يقول الواقف: وقفت أو حبست أو سبّلت.

٢- **وكناية:** وهي التي تحتمل معنى الوقف وغيره؛ ومثاله: الصدقة، وجعلت الماء للفقراء أو في سبيل الله ونحوها. ولا ينعقد الوقف بألفاظ الكناية إلا إذا قرنها الواقف بما يدل على أنه يريد بها الوقف، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف كما ينعقد باللفظ ينعقد بالفعل كأن يبني مسجدا ويأذن للناس في الصلاة فيه، أو مقبرة ويأذن بالدفن فيها؛ فيصير المسجد و المقبرة وقفا بالقرينة الدالة على إرادة الفعل. يشترط في صيغة الوقف الجزم، وأن تكون صيغة الوقف جازمة لا تحتمل عدم إرادة الوقف، فلا ينعقد الوقف بالوعد. ويشترط فيها التنجيز؛ ويقصد به عدم تعليق الوقف على شرط كتعليق الوقف على قدوم شخص. ويشترط فيها التأبيد بأن تدل الصيغة على استمرار الوقف دون تقييد بزمن معين؛ وهذا رأي الجمهور خلافا للمالكية. والتأقيت تعيين مدة زمنية ينتهي الوقف بمضيها.

٢- الواقف.

٣- الموقوف (العين الموقوفة).

٤- الموقوف عليه.

أقسام الوقف:

ينقسم الوقف بحسب الاعتبارات الآتية:

١- أقسام الوقف باعتبار الموقوف عليهم:

أ- **الوقف الخيري:** ما جعلت فيه المنفعة لجهة أو أكثر من جهات الخير، فلا يعود نفع الوقف لمعيّن.

ب- **الوقف الأهلي:** ما جعلت فيه المنفعة للأفراد.

ج- **الوقف المشترك:** ما يجمع بين الوقف الخيري والأهلي.

٢- أقسام الوقف حسب نوع الإدارة:

أ- **أوقاف تُدار من قِبل الواقف نفسه:** أو أحد من ذريته من بعده، يحدد وصفه الواقف.

ب- **أوقاف تدار من قِبل المُشرف على الجهات المستفيدة،** كأن يذكر الواقف في حجة وقفه أن يدار الوقف من قبل إمام المسجد، الذي تنفق عليه خيرات الوقف.

ج- **أوقاف تُدار من قِبل القضاء:** وهي تلك الأوقاف، التي فقدت وثائق إنشائها، فلم يعرف شكل للإدارة مما اختاره الواقف لها؛ أو أوقاف تخضع للإدارة الحكومية؛ وهي التي باتت خاضعة لسلطة الحكومة؛ وذلك في

العصور الأخيرة، وخاصة بعد صدور قرار إنشاء وزارة الأوقاف في الدولة العثمانية منتصف القرن التاسع عشر.

٣- أنواع الوقف بحسب المضمون الاقتصادي:

أ- الأوقاف المباشرة:

وهي التي تقدم مباشرة خدماتها للموقوف عليهم؛ مثل وقف المسجد، الذي يوفر مكانا للصلاة، ووقف المدرسة، الذي يوفر مكانا لدراسة التلاميذ.

ب- الأوقاف الاستثمارية:

وهي المتوفرة على استثمارات صناعية أو زراعية أو تجارية أو خدمية والتي لا تقصد بالوقف لذواتها، وإنما يقصد منها إنتاج عائد إيرادي صاف يتم صرفه على أغراض الوقف.

٤- أنواع الوقف حسب تنوع الأموال الوقفية:

أ- الأرض ونحوها: كالديار والحوانيت والحوائط والمساجد والمصانع والمقابر والطرق.

ب- الحيوان كالعبد والخيل والبقر[1].

ج- السلاح والدروع.

---

(١) وفيها أربعة أقوال: الجواز والمنع، وجواز الخيل خاصة، والكراهة في الرقيق؛ إذ تحبيسه يعطل إمكان تحريره.

وجوب العمل بشرط الواقف:

إذا شرط الواقف في وقفه ما لا يخالف الشرع ولا يخالف مصلحة الوقف أو الموقوف عليهم، وجب اتباع شرطه. ويعتبر الفقهاء شرط الواقف كنص الشارع في وجوب التزامه.

ومثال الشروط المخالفة للشرع أن يشترط العزوبة في من يستحق الوقف. ومثال الشرط المخالف لمصلحة الوقف إذا شرط أن لا يؤجر الوقف إلا بأجرة لا تكفي لعمارة الوقف «أقل من أجرة المثل».

وفي هذه الأحوال لا يعمل بشرط الواقف. ونص الفقهاء على أن الوقف إذا اقترن بشرط غير صحيح بطل الشرط وصح الوقف.

الشروط العشرة:

١-٢- الزيادة و النقصان: بأن يزيد في نصيب مستحق من المستحقين في الوقف أو ينقص.

٣-٤- الإدخال والإخراج: أن يدخل في الاستحقاق من ليس مستحقا في الوقف أو يخرج أحد المستحقين من الموقوف عليهم.

٥-٦- الإعطاء والحرمان: الإعطاء هو إيثار بعض المستحقين بالعطاء مدة معينة أو دائما، والحرمان هو منع الريع عن بعض المستحقين مدة معينة أو دائما.

٧-٨- **التغيير والتبديل**: التغيير هو حق الواقف في تغيير الشروط، التي اشترطها في الوقف. والتبديل هو حق الواقف في تبديل طريقة الانتفاع بالموقوف بأن يكون دارا للسكنى فيجعلها للإيجار.

٩-١٠- **الإبدال والاستبدال**: الإبدال هو بيع عين الوقف ببدل من النقود أو الأعيان. أما الاستبدال فهو شراء عين أخرى وقفا بالبدل، الذي بيعت به عين الوقف.

مسوغات مخالفة شرط الواقف:

١- إذا أصبح العمل بالشرط في غير مصلحة الوقف، كأن لا يوجد من يرغب في الوقف إلا على وجه مخالف لشرط الواقف.

٢- إذا أصبح العمل بالشرط في غير مصلحة الموقوف عليهم كاشتراط العزوبة مثلا.

٣- إذا أصبح العمل بالشرط يفوت غرضا للوقف كأن يشترط الإمامة لشخص معين ويظهر أنه ليس أهلا لإمامة الصلاة.

٤- إذا اقتضت ذلك مصلحة أرجح كما إذا وقف أرضا للزراعة فتعذرت وأمكن الانتفاع بها في البناء، فينبغي العمل بالمصلحة؛ إذ من المعلوم أن الواقف لا يقصد تعطيل وقفه وثوابه.

انتهاء الوقف:

- ينتهي الوقف بانتهاء مدته إذا كان مؤقتا عند من يقول بالتأقيت.

- وبانقراض أهلها؛ ويؤول ما انتهى فيه الوقف للواقف إن كان حيا أو لورثته يوم وفاته، فإن لم يكن له ورثة أو كانوا وانقرضوا، اعتبر وقفا خيريا.

- وينتهي الوقف الأهلي إذا تخربت أعيانه كلها أو بعضها ولم يمكن تعميرها أو استبدالها أو الانتفاع بها انتفاعا يكفل للمستحقين نصيبا في الغلة غير ضئيل.

- كما ينتهي الوقف إذا كان موفور الغلة إلا أنه كثر مستحقوه حتى قلت أنصباؤهم حسب أحوالهم الاجتماعية ولم يمكن استبدال الموقوف بما يدر عليهم ريعا مناسبا.

ويصير ما انتهى إليه الوقف ملكا للواقف إن كان حيا وإلا فلورثته، فإذا لم يوجد ورثة يصير الوقف خيريا.

مقاصد الوقف الإسلامي:

إن للوقف مقاصد عامة باعتباره عملا من أعمال البر والخير؛ لما أوجبه الإسلام من التعاون والتراحم بين مختلف طبقات المجتمع والأمة الإسلامية عامة؛ عن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

قال العلامة الدهلوي: «وفيه - أي الوقف- من المصالح، التي لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا، ثم يفنى فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى ويجيء أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسا للفقراء وابن السبيل يصرف عليهم منافعه ويبقى أصله».

نماذج من روائع الوقف الاجتماعي في التراث الإسلامي:

- وقف تزويج الفقيرات.
- وقف تعريس المكفوفين، بحيث كانت في فاس دار لتزويج المكفوفين.
- توزيع الخبز المجاني لإغناء الناس عن السؤال.
- وقف النساء الغاضبات؛ وهو وقف يقوم على رعاية النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن.
- وقف الثياب، لكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين.
- وقف نقطة الحليب، وكان من ميراث صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله تعالى، وقد جعل في أحد أبواب القلعة الباقية إلى الآن بدمشق ميزابا يسيل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٥)؛ ومسلم برقم (٢٥٨٦).

منه الحليب وميزابا آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر، تأتي إليه الأمهات يومين في الأسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجون إليه من حليب وسكر.

- وقف لإيواء الغرباء وابن السبيل، حيث يقوم على تقديم الطعام وتوفير الرعاية له والإقامة حتى يعود إلى أهله.

- وقف الأواني المكسورة، إذ يوفر الضمانة الاجتماعية للأحداث والخدم إذا كسروا الأواني حتى يدفعوا عنهم حرج التوبيخ أو الضرب أو الطرد من العمل.

- وقف قصر الفقراء، عمره نور الدين زنكي، رحمه الله، في ربوة دمشق لما رأى في ذلك المنتزه قصور الأغنياء وعزّ عليه الفقراء أن لا يستمتعوا مثلهم بالحياة.

- وقف مخصص لختان الأولاد من أبناء الفقراء والأيتام.

- وقف لإعارة الأواني والأدوات.

- وقف المطاعم الشعبية لاسيما للحجاج أو في رمضان وللفقراء في غيرهما.

- وقف الثوب الملوث، فإن وقع عليه زيت يذهب للوقف ليأخذ ما يشتري به ثوبا آخر.

- وقف الأسبلة لتسبيل الماء في الطرقات العامة ليشرب بها الناس والحيوانات.

- أوقاف في خدمة المتسولين والمتشردين لإطعامهم.

- أوقاف الأيتام لرعاية القاصرين والعناية بهم.

- وقف لغسل الجنابة، حينما يفتقده من يصبح كذلك.

- وقف الأعراس، لاسيما الدور المفروشة وأثاثها مع أدوات الوليمة.

- وقف الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزروع والمسافرين.

- أوقاف تقدم الطعام والتوسعة على الناس في شهر رمضان وفي يوم عاشوراء وأوقاف إفطار الصائمين.

- الحمامات.

- دور المسافرين والعمارات تغنيهم عن البحث عن الكراء والاستئجار.

- وقف وفاء الديون.

- وقف مساعدة أهل الكتاب.

- وقف الموتى.

- وقف البذار للفلاحين.

الفصل الخامس

النشأة التاريخية للأوقاف في فلسطين

تمهيد:

إن مسألة الوقف بالأرض المقدسة وبيت المقدس لا يمكن أن ترصد ابتداء من العهود المتأخرة كعهد الأمراء في الدولة الأيوبية، التي نشطت فيها حركة الوقف بالأرض المقدسة، وإنما بدأت في وقت مبكر، ويمكن اعتبار الإعلان عنه مع معجزة الإسراء والمعراج حين تسلم النبي ﷺ إمامة الأنبياء في بيت المقدس، والصلاة بهم. أما التدشين الرسمي فيمكن اعتباره ابتداء من إقرار وقف تميم بن أوس الداري، وفي العهد العمري بفتحه المبين لفلسطين عام ١٥هـ/٦٣٦م، وكان إعلانا عن كون أرض فلسطين كلها وقفا إسلاميا. وهذا ما نتابعه خلال هذا الفصل وعبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: العناية بالأرض المقدسة والتوجه نحو التحرير:

كان التوجه نحو تحرير بيت المقدس في عهد النبي ﷺ يوم بعث بكتابه إلى هرقل، ملك الروم، وهو في بيت المقدس. وقد كان آنذاك يحتفل بالنصر على الفرس عام ٦٢٨م، أي أواخر السنة السادسة من الهجرة وبداية السنة السابعة[1].

---

(١) وقد ذكر الإمام البخاري أن الرسول ﷺ كتب إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام بعد العودة من صلح الحديبية. أخرجه في كتاب بدء الوحي، برقم (٧).

وقد أكدت أحداث من السيرة النبوية العطرة هذا التطلع لهذه الأرض عبر سلسلة من السرايا والغزوات والبعثات؛ ومن ذلك واقعة الإسراء والمعراج، التي حملت أكثر من دلالة؛ وتبين لدى المسلمين الخيط الرابط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

هذا وقد كان في شهر ربيع الأول، من **السنة الخامسة** غزوة دومة الجندل؛ وهي مكان على بعد (٤٥٠) كيلو مترا شمال تيماء.

في السنة السادسة بعث النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف ﷺ على رأس سرية مرة أخرى إلى دومة الجندل.

وفي شهر المحرم من السنة السابعة كانت غزوة خيبر؛ لأن يهودها كانوا يهددون الطريق إلى الشام.

وفي ربيع الأول من السنة الثامنة كانت سرية كعب بن عمير الغفاري ﷺ إلى ذات أطلاح من ناحية الشام وهو في منطقة وادي عربة.

وفي جمادى الآخرة من السنة الثامنة نفسها كانت غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص ﷺ.

وفي السنة نفسها كانت سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى حدود فلسطين.

وكذا غزوة مؤتة، التي جهزها النبي ﷺ بثلاثة آلاف مقاتل، حدثت في جمادى الأولى عام ثمان للهجرة، قبل فتح مكة، لتؤكد على قوة المسلمين للمشركين في مكة وتؤكد على أهمية الشام وفلسطين وبيت المقدس.

وكذا في معركة تبوك في التهيؤ لغزو الروم على الرغم من بعد الشقة، وعام العسرة وشدة الحر وجدب البلاد، وكان الجيش الإسلامي يتكون من ثلاثين ألف مقاتل لتحرير أرض فلسطين من الروم المتغطرسين فيها.

وقد أكد أبو بكر الصديق ﷺ اهتمامه بتنفيذ قرار الرسول ﷺ بإنفاذ جيش يقوده الصحابي الجليل أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، إلى الشام. وكان أولى المعارك بين المسلمين والروم في فلسطين معركة (داثن)[1] يوم ٢٤ ذي الحجة ١٢هـ.

وقد بعث عام ٦٣٣م لفتح بلاد الشام بقيادة عمرو بن العاص وغيره من كبار الصحابة، رضي الله عنهم، فهزموا الروم في وادي عربة جنوب البحر الميت وتعقبهم حتى غزة في عام ٦٣٤م، وكذا في معركة أجنادين جنوب غرب القدس بين الرملة وبيت جبريل، وقد فتحوا بيسان واللد ويافا.

وأما في عهد الفاروق عمر بن الخطاب فقد فتحت مدينة القدس وتسلم مفاتيحها من بطريك الروم صفرونيوس في سنة ١٥هـ/الموافق ٦٣٦م. وهنا بالضبط بدأ الحديث عن أرض فلسطين بأنها وقف إسلامي لكل الأجيال وكل الزائرين.

---

(١) داثن هي خربة الدميثة اليوم تقع شرقي مدينة دير البلح وتبعد عنها خمسة كيلو مترات وعلى بعد ١٦ كيلو مترا جنوب شرق مدينة غزة وعلى بعد كيلو متر جنوب مخيم المغازي. انظر: محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى- دراسة تاريخية موثقة، ط١، ١٩٩٤م، ص ٧٨.

المبحث الثاني: أوقاف تميم بن أوس الداري:

إن ثمة وثائق تؤكد بالنص الصريح على أن الوقف الإسلامي الأول في فلسطين هو الذي أوقفه الرسول ﷺ مرتين في مدينة الخليل (حبرون) على تميم بن أوس الداري وإخوته (وهم من لخم) مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها؛ وذلك كان بشارة نبوية إعجازية تؤكد على هوية فلسطين الإسلامية، قبل فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.

ففي المرة الأولى، التي وفد فيها الداريون، سألوا رسول الله ﷺ أرضاً، فدعا بقطعة أدم (جلد) وكتب لهم كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب ذكر فيه ما وهب رسول الله ﷺ للداريين، إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عيون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم، ومن فيهم إلى الأبد.. شهد العباس بن عبد المطلب، وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنه، وكتب».

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة قدم عليه الداريون، وسألوه أن يجدد لهم الكتاب فكتب ما نسخته: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ، أَنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونَ، قَرْيَتَهَا كُلَّهَا، سَهْلَهَا وَجَبَلَهَا وَمَاءَهَا وَحَرْثَهَا وَأَنْبَاطَهَا وَبَقَرَهَا، وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، لا يُحَاقَّهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلا يَلِجْهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِظُلْمٍ، فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

وكتب علي في رواية أخرى عن النص السابق: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ لتميم الداري وإخوته: حبرون ومرطوم وبيت إبراهيم، وما فيهن عطية باتت بذمتهم، ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاه الله، ومن آذاهم لعنه الله... شهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن أبي طالب وشهد».

وفي عهد الخليفة الأول، كتب للداريين ما نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم.. هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي اسْتُخْلِفَ فِي الأَرْضِ بَعْدَهُ، كَتَبَ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لا يُفْسَدَ عَلَيْهِمْ مَأْثَرَتُهُمْ قَرْيَةُ حَبْرَا وَبَيْتُ عَيْنُونَ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلا يُفْسِدْ مِنْهَا شَيْئًا وَلِيَقُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا، فَلْيَمْنَعْهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ»[1].

وكتب الخليفة أبو بكر إلى أمير العسكر في الشام في أمر الداريين: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من أبي بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح.. سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فامنع من كان يؤمن

---

(١) أذكر أني حين قدمت ورقتي في المؤتمر الدولي للأوقاف الإسلامية بفلسطين، كانت فيه ورقة بعنوان «تميم بن أوس الداري وعلاقته بالأرض المقدسة»، قدمها علم من أعلام فلسطين، هو سليل أسرة تميم الداري الشيخ «نادر أسعد أحمد بيوض التميمي»، وكانت ورقتي بعده، فانتهزت الفرصة فقلت: كم هو جميل أن يتحدث عن أوقاف تميم الداري أحد حفدة تميم، وها أنذا أتحدث إليكم عن أوقاف المغاربة بفلسطين وأنا مغربي؛ والشيخ «نادر أسعد أحمد بيوض التميمي» حصل على الدكتوراه سنة ١٩٨٩م، من جامعة السند، بحيدر آباد، في باكستان، بعنوان: «الصحابي تميم الداري وعلاقته بالأرض المقدسة»، وله مؤلفات منها «الخلافة الراشدة في القدس».

بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين. وإن كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها، وإذا رجع إليها أهلها فهي لهم وأحق بهم.. والسلام عليك»[1].

لقد كان وقف تميم الداري من أقدم الأوقاف في تاريخ المسلمين، فضلا عن أوقاف فلسطين، ولم يسجل إلا في سنة ١٠٩٦م، وكان مصروفا على منطقة الخليل، وأصبح يشمل أكثر من ٦٠% من منطقة الخليل، وكان دخله سنة ١٩٤٧م يصل إلى ١٥ ألف جنيه فلسطيني. غير أن الصهاينة استولوا على أراضيه وعقاراته بما يزيد على ٥٠٠ دونم بموجب القرار العسكري رقم (٥٩) بحجة الأمة تارة، وبحجة أن أراضيه أميرية؛ لأنها خارج مدينة الخليل. علاوة على المجزرة، التي أحدثها «باروخ جولد شتاين» في فجر الجمعة فأطلق الرصاص على ٢٩ مصل وفي اليوم نفسه قتل جنود الاحتلال ٣١ فلسطينيا خارج الحرم. وبعد المجزرة شكلت لجنة أغلقت المدينة لعدة شهور اتخذت خلالها قرارات عدة منها تقسيم الحرم الإبراهيمي قسمين: القسم المسمى الإسحاقية للمسلمين، وبقية المسجد لليهود على أن يتم إغلاق الإسحاقية أمام المسلمين في الأعياد والمناسبات الدينية[2]. والله المستعان!

---

(١) انظر النصوص بصيغها المختلفة ورواياتها وتحقيقاتها في كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، ط٦ (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٧م) ص١٣٠-١٣٣.

(٢) انظر جريدة الشرق الأوسط، عدد: ٥، ١٠، ٢٠٠٥م، لندن.

المبحث الثالث: تطور الوقف بفلسطين في عهد عبد الملك بن مروان:

اشتهر اهتمام عبد الملك بن مروان بالمسجد الأقصى، حيث جعل له ثلاثمائة خدام دائمين اشتراهم من خُمُس بيت المال، وجعل الخدمة وراثية فيهم وفي أبنائهم وأحفادهم، وجعل رواتبهم جارية دوما، كما جعل له خدما من اليهود والنصارى لكنس وخدمة المسجد[1].

المبحث الرابع: بلوغ الوقف أوجه في الدولة الأيوبية وعصر المماليك:

إن الدور الرائد هو الذي قام به الخليفة صلاح الدين الأيوبي في قهر الصليبيين وفتح بيت المقدس والحفاظ على هذه المدينة المقدسة، وذلك بالأوقاف ورعايتها، ولعل «أول من نشط في إحياء الوقف الإسلامي هم أمراء الدولة الأيوبية بعد الفتح الثاني للقدس سنة ١١٨٧م، على يد صلاح الدين الأيوبي، ومن بعدهم المماليك، وأصبحت أراضي القدس وقفا يتصرف به الخليفة أو الوالي لما فيه مصلحة المسلمين»[2].

---

(١) انظر: الصراع الإسلامي- الفرنجي على فلسطين لمجموعة من الباحثين (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤م) ص٤٧.

(٢) انظر: رائف نجم، الأوقاف الإسلامية في القدس، ٢٣، ١٢، ١٩٩٩م، عن موقع: www.alahed.org؛ سامي الصلاحات، الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ص ٢٠.

وحال الأوقاف في فلسطين كحاله في بقية الأمصار الإسلامية، إذ انتشرت الأوقاف في المدن والحواضر الإسلامية، على شكل مدارس وعقارات ودور ومستشفيات، ثم توسعت الظاهرة الوقفية في عهد المماليك (١٢٥٠م- ١٥١٧م)، لتتجه نحو الأراضي الزراعية والبساتين[1].

المبحث الخامس: الوقف في عهد الأتراك العثمانيين:

وقد تسلم العثمانيون الأتراك الحكم ما بين ١٥٥٨م- ١٩١٨م، وقد أحكموا قبضتهم على العالم الإسلامي، وقد سمحوا في عهد السلطان سليمان الحكيم بتحويل الأراضي الأميرية إلى أراضي وقف، وانتهى الأمر إلى تأسيس وزارة الأوقاف تحت القضاء في اسطنبول بتركيا، واستمرت عشرات القرون، وكان ريعه يعود على فلسطين بالخير والبركة. والجميل أن الأتراك، الذين حكموا فلسطين حتى عام ١٩١٧م، لم يكونوا يسمحون للأجانب بالتملك بمدينة القدس؛ وهذا فسح الباب مشرعا لانتشار الأوقاف بها وبكثرة مشهودة، لولا الفشل، الذي منيت به خلال مرحلة الانتداب البريطاني وأثرت سلبا على الأوقاف الإسلامية بفلسطين. ويبقى أن معظم الوثائق بالمحاكم التركية والأرشيف التركي يحتاج إلى من يفك أسرها ويعتقها للاطلاع على أسرار الوقف الإسلامي بفلسطين.

---

(١) الأوقاف للصلاحات، ص ٢٠.

الفصل السادس

الأوقاف بفلسطين: نظرة عامة

تمهيد:

تعد الظاهرة الوقفية مظهرا من مظاهر القوة لدى المسلمين ولاسيما في الأرض المقدسة؛ مما عزز وجودها وكثافتها عبر التاريخ الإسلامي، وبين مدى تعلق المسلمين بهذه الأرض المباركة، وقد أوقف الناس كل ما يملكون وأغلى ما عندهم لأجل القدس الشريف ورواد المسجد الأقصى، وقفوا الأموال، والآبار، والمدارس والتكايا، والزوايا، والمكتبات، والحقول والبساتين، والقرى ليكون ريعها على القدس الشريف. ونلقي نظرة عامة على طبيعة هذه الأوقاف عامة لنلج إلى أوقاف المغاربة ونفصلها تباعا.

المبحث الأول: أرض فلسطين كلها وقف إسلامي:

إن القول بأن أرض فلسطين ملك للمسلمين وأنها وقف إسلامي لا ينبغي أن يجادل فيه اثنان؛ لما ذكرناه آنفا من فضل هذه الأرض المباركة، أرض الإسراء والمعراج، ومهد الرسالات السماوية. وذلك ما جعل المسلمين

يرتبطون بها عقديا؛ وهو السر في أن المعراج انطلق منها —الأرض المقدسة— وكان ممكنا انطلاقه من مكة المكرمة، وتأمل كيف أن عددا هائلا من الأنبياء والمرسلين أعاد الله لهم أرواحهم وجمعهم في هذا المكان المقدس؛ بحيث إنهم لم يجتمعوا في غيره، والأهم في ذلك هو إمامة النبي محمد ﷺ بهم في الصلاة؛ فكانت بذلك أعظم صلاة في التاريخ بأسره.

وقد ارتبط بها المسلمون من أجل التعبد، وشدوا إليها الرحال، وأن الصلاة مضاعفة فيها، كما ارتبطوا بها سياسيا انطلاقا من إسراء النبي ﷺ إليها وإمامة النبي ﷺ بالأنبياء والمرسلين، وانطلاقا من الفتح الإسلامي، الذي حدث في العام الخامس عشر للهجرة على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وقد تسلم مفاتيح مدينة القدس من بطريق الروم «صفرونيوس» وكانت العهدة العمرية؛ وقد جاء في أهم بنودها أن لا يسكن بمدينة القدس أحد من اليهود، علما أنه لم يسكنها أحد منهم في ذلكم الإبان، وقد كانت العهدة العمرية ميثاقا للتسامح الديني وحقوق الإنسان.

كما ارتبط بها المسلمون ارتباطا تاريخيا بحيث سكنها العرب اليبوسيون منذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد.

هذا، وقد حكمها العرب والمسلمون وقتا طويلا باستثناء سنوات الاحتلال الصليبي والاحتلال الإسرائيلي مع العلم أن قدسنا الشريفة لفظت كل المحتلين وستلفظ إن شاء الله آخر محتل غاشم.

وارتبط بها المسلمون ارتباطا حضاريا بما فيها من مساجد ومدارس وزوايا وأربطة ومبانٍ سكنية تحمل روح المعمار الإسلامي بما فيه الأندلسي والمغربي.

ومما يؤكد أن فلسطين وقف إسلامي أن عمر الفاروق ﷺ حين تسلم مفاتيحها تسلمها بنفسه، وكانت عادته إذا فتح أرضا أن يقسمها على الجيش غير أن فلسطين لم تقسم إيذانا بأنها وقف إسلامي، وهل قسم النبي ﷺ مكة حين فتحها؟ فالقدس كمكة تماما. ولما طالبه بعضهم بالسنة أجاب عمر الفاروق ﷺ: «وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَحْبِسَ الأَرَضِينَ بِعُلُوجِهَا، وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ فِيهَا الْخَرَاجَ، وَفِي رِقَابِهِمُ الْجِزْيَةَ، يُؤَدُّونَهَا فَتَكُونُ فَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ: الْمُقَاتِلَةِ وَالذُّرِّيَّةِ وَلِمَنْ يَأْتِي مِن بَعْدِهِمْ»[1].

المبحث الثاني: الأوقاف على الأرض المقدسة:

- تشكل الأوقاف في فلسطين نحو مليون و ٦٨٠ ألف دونم (٦.٢٥% من مساحة فلسطين).

- يوجد في فلسطين ٣٤٠ قرية تعتبر وقفاً كلياً أو جزئياً مثل بورين وبيت فوريك وشطا، وسعسع.

- روي أن عبد الملك بن مروان أوقف الخراج كله ولمدة سبع سنوات لبناء مسجد الصخرة في القدس الشريف.

- وبادر حكام دمشق إلى إقامة المباني الوقفية العامة كالأسواق والحوانيت والأبواب، واهتموا بتزويد المدينة المقدسة بالمياه بشكل منتظم، وعينوا علماء لإدارة الأوقاف[2].

---

(١) أبو يوسف، كتاب الخراج ، تحقيق وتعليق د. محمد إبراهيم البنا (نشر دار الاعتصام، ١٩٨١م) ص٧٠.

(٢) أمنون كوهين، دراسات في تاريخ مدينة القدس، ص١٠٥.

- وقد اعتاد الأمراء أن يبذلوا الأموال من أجل بناء الوقفيات، كالمدارس والمقابر، وكان من بين تلك المؤسسات، على سبيل المثال، المدرسة، التي بادر في إقامتها أرغون الكاملي، الذي كان حاكماً في ولايتي حلب ودمشق، وكان الفراغ من بنائها بعد موته عام ١٣٥٨هـ.

- والمدرسة، التي بناها الأمير طاز عام ١٣٦٠-١٣٦٢.

- والقرية، التي قام ببنائها طشتمر أمير الرسائل البريدية والذي عين نائباً لدمشق لاحقاً [١].

- قام الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧) بتجديد الفسيفساء الخارجية حول الأضلاع الثمانية لقبة الصخرة، كما قام ببناء محراب السلسلة.

- وأصلح قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠) سقف المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية الغربية.

- ورمم ابنه الناصر محمد بن قلاوون (١٣٠٩-١٣٤٠) السور الجنوبي للحرم على مقربة من محراب داوود. كما غطى حائط قبلة المسجد الأقصى بالرخام، وسبك الذهب من حديد في قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وبنى القناطر في الجزء المرتفع من الدرج الشمالي، الذي يوصل من المنطقة السفلى للحرم إلى المنطقة المرتفعة والتي تقوم عليها قبة الصخرة.

- وبنى الأشرف شعبان (١٣٦٣- ١٣٧٧) مئذنة باب الأسباط.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

- وقام قائتباي (١٤٦٨-١٤٩٥) بإيصال مياه الشرب إلى المبنى البارز الجمال، الذي أقيم إلى الشرق من رواق الأعمدة الغربي. ذلك المبنى الذي أطلق عليه اسم سبيل قائتباي الواقع في طرف مصطبة قايتباي الشمالي وهما واقعان ما بين باب الصخرة المطهرة وطرف صحن الصخرة[1]، كما بادر قائتباي إلى بناء المدرسة المملوكية الوقفية في القدس، وهي المدرسة الأشرفية.

- وقام آخر السلاطين قانصوى الغوري (١٥٠٠-١٥١٦) بتغطية قبة المسجد الأقصى وقاعدة قبة الصخرة مرة ثانية بالرصاص، كما سمح بمسح الحيطان ودهن أبواب المسجد الأقصى بالألوان الزيتية.

- وقد قام السلاطين ببناء الرباطات للمحتاجين، كما هو الحال في رباط البصير، الذي بادر ببنائه ناظم الحرم والقدس عام ١٢٦٦، ومقابله في الجهة الجنوبية للشارع يقع الرباط المنصوري، الذي تمت إقامته بمبادرة من السلطان المنصور قلاوون، وإلى الشمال من الحرم تقع الخانقاه الدوادارية أنشأت في عهد المماليك (١٢٤٥)، وعلى مقربة من بوابة الحديد، ومنذ نهاية القرن الثالث عشر، تم وقف مبنى عام ليكون رباطاً للحجاج وهو رباط الكرد.

- وقد شاعت إقامة المدارس الوقفية في القدس أيام المماليك، لعلو شأنها من الناحية الدينية، وتم صرف الأموال لإقامة هذا النوع من المباني، وقد صرفت رواتب للمدرسين، وأعطيت منح لطلابها، فالمدرسة العثمانية بنيت

---

(١) أحمد فتحي خليفة، دليل أولى القبلتين،ص ٧٦.

عام ١٤٤٠ بتمويل من إحدى المسلمات من أصل أناضولي تدعى أصفهان شاه خاتون، حيث تم وقف المدرسة. والمدرسة الخاتونية بنتها امرأة مسلمة اسمها أغل خاتون ابنة شمس الدين البغدادي.

– وقد بنيت الإسعردية في السور الشمالي من الحرم الشريف على يد مجد الدين عبد الغني الإسعردي عام ١٣٤٩.

– وتم بناء المدرسة السلامية على يد مجد الدين إسماعيل السلامي، وقد كان هذا التقليد في بناء هذه الأبنية متبعاً عند الأيوبيين، الذين سبقوا المماليك، وصلاح الدين أعاد المصلى الإسلامي إلى سابق عهده بعد أن حول على أيدي الصليبيين إلى مقر البطريك اللاتيني، وأقام الخانقاه الصلاحية، كما أعاد المكان، الذي حول إلى كنيسة سانتا آنا إلى المدرسة الصلاحية؛ لأنها وقف إسلامي.

– وتمت إقامة المدرسة المعظمية والقبة النحوية في منطقة الحرم بمبادرة من الملك عيسى ابن أخت صلاح الدين وذلك في مستهل القرن الثالث عشر، كما بنى قائتباي المدرسة الأشرفية في سنوات الثمانين من القرن الخامس عشر، وقام نائب الشام ١٣٢٨ ببناء المدرسة التنكزية والصليبية، التي أقامها علاء الدين علي بن محمد نائب قلعة النمرود في أواخر القرن الرابع عشر، وكذلك المدرسة الحنبلية والتي بناها بيدمر نائب الشام عام ١٣٨٠، وجميع هذه الأماكن، التي ذكرت آنفاً تعتبر وقفاً على واقفيها وذراريهم[1].

---

(١) كارين ارمسترونج، القدس واحده، ١٩٨٨م، ص٤٨٦.

- في أواخر القرن الثالث عشر أقيمت مبان ريفية كثيرة فوق الرواق من الجهة الشمالية الغربية بمحاذاة سور الحرم، (كالمدارس، والزوايا، والخوانق، والخلاوي، التي سكنها البوابون في الحرم، ورباط يخدم الزوار) وأوصلت إليه تسعة أبواب، أربعة منها في الجهة الشمالية. وخمسة في الجهة الغربية، وخزنت المياه في آبار وبرك، كانت تصلها المياه من خلال القناة، التي تبتدئ من برك سليمان، كما وقفت بعض القطع من الأرض لزراعة الخضروات وتدعى الحواكير.

- ولقد أقيم زمن المماليك طريقان مركزيان شقتا المدينة القديمة، الأولى من الغرب وتتجه شرقاً وأطلق عليها اسم شارع باب السلسلة، وما تزال تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وتبدأ من الساحة القريبة من القلعة، التي كان يقطنها نائب القدس آنذاك، وتصل إلى الأسواق ومن ثم تلتوي إلى الجنوب وتمضي شرقاً. وأقيمت هناك بعض الأسواق الوقفية الصغيرة كسوق الحريرية، سوق الطباخين وسوق المبيضين، على مقربة من درج العين تقع سوق الصاغة. والطريق المركزية الأخرى، التي أقيمت، هي تلك التي ربطت بين باب العمود شمالاً حتى باب النبي في الجنوب، أما الطريق التي تعرف اليوم بطريق الواد، وتخرج من باب العامود حتى درج العين فقد أطلق عليها اسم خط وادي الطواحين، ويقع في آخر الوادي بئر يدعى بئر أيوب .

- وفي زمن صلاح الدين بني مستشفى كبير تم وقفه، وفي الجهة الشرقية منه عند تقاطع الطريقين المركزيتين أقيمت الأسواق، كسوق العطارين،

وسوق الخضر وسوق القماش، وبنيت سقوف هذه الأسواق بالقبب الحجرية تعلوها شبابيك كثيرة أثبتت فوقها لكي يتسلل الضوء عبرها. وقد تم وقف جميع هذه الأسواق[1].

- لقد قام المماليك بتزويد القدس بالمياه من مصادر عدة، فقد تم تخزين مياه المطر في الآبار، التي كانت موجودة بساحة كل منزل، وأقيمت برك في الجهة الشمالية الشرقية للحرم الشريف، وحمام علاء الدين في وسط المدينة، كما وأقيمت برك في حارة النصارى لتخزين المياه، كما وجلبت المياه من عين سلوان، وبئر أيوب، وفي عهد صلاح الدين أنشئت القنوات التحت أرضية لتزويد المدينة بالمياه، وتم رفع مستوى المدينة إلى مستوى الحرم، بواسطة ممرات مقنطرة استخدمت كممرات سرية ربطت بين الحرم والمدينة، كما وأنشئت داخل هذه الممرات قنوات مياه كانت تصب في برك وأحواض تم إعدادها لتزويد المدينة ومنطقة الحرم بالمياه. وتبرز للعيان الترميمات لهذه القنوات والتي جرت إبان حكم الناصر محمد بن قلاوون في السنوات ١٣١٣، ١٣٢٠، ١٣٢٧، وأيام خشقدم وقائتباي بين السنوات ١٤٦٥-١٤٧٠، حيث تم ترميم القنوات القديمة، التي بنيت في عهد صلاح الدين، وبناء أحواض كثيرة لتخزين المياه[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٢) كوهن، يوسف دوري، القدس في عصر المماليك، ص ١١٤.

- لقد دفن المسلمون موتاهم في ثلاث مقابر داخل مدينة القدس تتبع الوقف الإسلامي. الأولى في الجهة الشمالية تقع فوق الزاوية الأدهمية، وفي الشرق مقبرة باب الرحمة، وفي الغرب تقع أكبر مقبرة وهي مقبرة ماميلا. وقد حوت القدس العديد من البساتين الوقفية، التي امتلأت بالأشجار المثمرة وكروم العنب والتين والتفاح، وأقيمت على أراضي وقف الخانقاه الصلاحية عشر مبان حجرية، وحددت بعض قطع الأراضي أطلق عليها «الأحواش»، لجماعات صوفية معينة كالقلندرية، حيث تم وقف هذه الأحواش على مثل تلك الفئات[1].

- وفي الفترة العثمانية، فإن السلطان سليمان القانوني هو الذي وضع الإطار للمدينة لحماية الأماكن المقدسة، فالسور الكبير، الذي يحدق بالمدينة والبوابات المختلفة، التي أثبت فيه تعود للفترة العثمانية، وهذا لا يمنع من وجود بعضها قبل ذلك.

- لقد قام السلطان سليمان ببناء بركة السلطان بسبيلها المشهور، خارج الأسوار في الجهة الجنوبية الشرقية من باب الخليل، وقام بحفر القنوات المائية لتصريف المياه، التي تم جلبها للمدينة، واتجهت نحو الحرم القدسي والمنطقة المحاذية له، وقد وجهت المياه في ثلاثة سبل داخل الحرم وخمسة خارجه (اثنين شمالاً، وثلاثة غرباً)، وقد كان الفراغ من مشروع المياه عام ١٥٤١هـ[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢٦.

- وقد زرعت قطع من الأرض داخل الأسوار وخارجها بالخضروات، كما كانت هناك كروم وبساتين متعددة تابعة للوقف الإسلامي؛ وهي تعود إلى عصر المماليك الذين اشتهروا بمثل هذه الوقوف[1].

- لقد أنشأ العثمانيون العديد من الأسواق، كسوق التجار والعطارين وسوق الخضر والباشورة، والسوق الكبير وسوق الصياغ، وخان القاطنين، وبعض هذه الأسواق أسست أصلاً في زمن المماليك، ثم توسعتها وترميمها على أيدي العثمانيين، هذا بالإضافة إلى العديد من الحوانيت والمخازن، التي كانت وقفاً لقبة الصخرة. كما توجد إشارات إلى النتائج الإيجابية والتقدم، الذي طرأ نتيجة إجراء مشاريع تطويرية لهذا الوقف، فازداد عدد الحوانيت خارج مدخل السوق من ٢٨ في آب ١٥٦٤ إلى ٣٢ حانوتاً في شباط ١٥٦، وقد قام السلاطين المماليك ببناء قطعة الأرض، التي كانت وقفاً لقبة الصخرة وأعلنت وقفاً عائلياً، وكان يدفع لخزينة وقف قبة الصخرة ٢٠ باره (حكر أراضي) للحصول على حقوق استخدام الأراضي، وقد وصل مجموع مدخول وقف قبة الصخرة السنوي من الرسوم، التي فرضت على مستأجري الحوانيت في خان القاطنين فقط إلى حوالي ٨٠٠ باره.

---

(١) كوهن، مصدر سابق، ص١١١.

الفصل السابع
أوقاف المغاربة في فلسطين
الذاكرة والتاريخ

تمهيد:

إن في القدس الشريف جملة من الأوقاف الموثقة بالحجج، ومنها أوقاف المغاربة، تُرى فما هي حقيقة هذه الأوقاف؟ وما سبب نشأتها؟ ذلك ما نحاول رصده خلال هذا الفصل بإذن الله وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: إمامة المسجد الأقصى لم تكن مقصورة على الفلسطينيين:

لقد أمَّ مدينةَ القدس العديدُ من المسلمين من غير الفلسطينيين عرباً وعجماً، ويكفي تصفح كتب التراجم للمقدسيين ومن نزل المسجد الأقصى فهم على الوفرة بمكان، وقد كان للمغاربة منهم نصيب.

فهذا علي بن محمد المعافري (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م) الذي خرج من مالقة بالأندلس نحو القدس الشريف وعين بها إماما، حيث جاور هناك حتى الوفاة، ولقد تميز كما حلّته كتب التراجم بالمشاركة في علوم متنوعة منها القراءات والحديث والنحو والخط والتصوف[1].

---

(١) انظر: محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د.إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥م) ص٦٢٧.

المبحث الثاني: التمركز بقرب الحرم القدسي وتشجيعهم بوقف مناطقهم عليهم:

فقد كان هؤلاء القادمون من بلاد بعيدة يتمركزون في أحياء معينة من المدينة لكنها قريبة من منطقة الحرم. ولحسن الوفادة وتقدير جهود هؤلاء؛ كان يتم وقف المنطقة، التي يقطنوها عليهم، إمعانا في دعم الأرض بتعميرها وتكثير سواد المسلمين في فلسطين والقدس.

هذا، وقد عُلمتْ بعض الحارات المنسوبة لأصحابها، الذين جاءوا من أقاليم نائية، ولم يخل المغاربة من أن تكون لهم حارة تعرف باسمهم »«حارة المغاربة»« كما يأتي تباعا بعد بيان الحارات الآتية:

١- حارة المشارقة:

وفي الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وعلى مقربة من مسجد المئذنة الحمراء الحالي كانت حارة المشارقة، التي سكن فيها مسلمون قدموا من بخارى وسمرقند ومن شرق وأواسط بلاد فارس.

٢- زاوية الهنود:

أما المسلمون من أصل هندي فقد سكنوا ما يسمى بزاوية الهنود، خارج باب الأسباط، شرق المدينة.

٣- الحارة الغورية:

إلى الشمال من باب الأسباط سكن مسلمون جاءوا من منطقة غور الجبالية في أفغانستان، وسكنوا في حارة أطلقت على اسمهم بحارة الغورية.

٤- حارة الأكراد:

أما المنطقة، التي تقع إلى الشرق والتي تسمى بحارة الشرف فكانت تدعى سابقاً حارة الأكراد[١].

المبحث الثالث: حارة المغاربة:

موقع الحارة:

يقع المكان، الذي كانت تقع عليه حارة المغاربة في الجانب الجنوبي الغربي لمدينة القدس، إلى الغرب من المسجد الأقصى المبارك، بالقرب من حارة الشرف وحارة اليهود وحارة باب السلسلة.

مساحة حارة المغاربة:

شغلت حارة المغاربة مساحة تقدّر بخمسة وأربعين ألف متر مربع، وهي بذلك تشكّل ما نسبته (٥%) من مساحة القدس القديمة.

حدود الحارة:

يحد حارة المغاربة من جهة الجنوب سور القدس وباب حارة المغاربة، ومن الشرق الزاوية الفخرية ويليها المسجد الأقصى، ومن جهة الشمال المدرسة التنكزية وقوس ولسون المعروف بأقواس تنكز الحاملة للمدرسة التنكزية وعلى صفّها تربة الأمير حسام الدين بركة خان والمكتبة الخالدية، ومن جهة الغرب

---

(١) A.L.Tibawi, Islamic pious foundation in Jerusalem, London, P.13.
انظر: الموقف في فلسطين في العهد المملوكي والعثماني. د. حسن صنع الله، باحث في مركز الدراسات المعاصرة

حارة الشرف (تحولت اليوم إلى حارة لليهود)، وكان يمكن الوصول إليها عبر زقاق يفصل بين زاوية المغاربة وتربة الأمير بركة خان المعروفة كذلك بالمكتبة الخالدية.

الشكل العام للحارة:

تأخذ حارة المغاربة شكلاً مربعاً يتخلّله منشآت أثرية وتاريخية قديمة يعود بعضها إلى العصر الأيوبي، ويتخلل هذه المنشآت عقبات وأزقة معوجة وضيقة تصل أرجاء الحارة بعضها ببعض، ويتوزع على جانبي كل عقبة أو طريق أو زقاق في هذه الحارة عدد من المباني المتلاصقة، التي يعلوها في بعض الأحيان قناطر وبوائك مع ظهور قليل للقباب مما ميّز المدرسة الأفضلية، التي كانت تعلوها قبة مرتفعة عن غيرها من المباني فعرفت بمدرسة القبة؛ وصفها كامل العسل قائلاً: «وتتخذ الحارة شكلا مستطيلا تتخلله طرق مبلطة ضيقة، وجميع منازل الحي ملاصقة بعضها لبعض.. وهي أبنية قديمة تشتهر بآبارها وغرفها الصغيرة وجدرانها السميكة، كما تشتهر بصغر مداخلها.. ومن ضمن أبنيتها مبان تاريخية إسلامية يرجع بعضها إلى زمن المماليك».

توصيف حارة المغاربة:

تقع حارة المغاربة في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة القدس القديمة ملاصقة لحائط البراق، الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من الحرم القدسي الشريف. وتعتبر البقعة، التي تقوم عليها حارة المغاربة ذات أهمية دينية خاصة؛ لأنها المكان، الذي حط فيه البراق، الذي حمل النبي محمدا ﷺ ليلة الإسراء

والمعراج. وترجع تسمية حارة المغاربة بهذا الاسم إلى أواخر القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. فقد وفد إلى بلاد الشام في هذه الفترة جنود من المغاربة من بحارة الأسطول، الذي بعث به السلطان يعقوب المنصور، سلطان المغرب، لنصرة صلاح الدين، وكذلك جنود من المغاربة كانوا يعملون في الجيش المصري منذ زمن الفاطميين وتوجه بعض هؤلاء إلى القدس. وقد وقف الملك الأفضل نور الدين علي ابن صلاح الدين الأيوبي الأراضي والمساكن المحيطة بموضع البراق على طائفة من المغاربة. وكان ما بين سنتي ٥٨٩هـ و٥٩٢هـ. وقد وقف أعيان المغرب بعد ذلك وقوفا ثلاثة مهمة على المغاربة، الذين يقطنون القدس هي: وقف شعيب بن محمد المعروف بأبي مدين؛ وهو يشمل زاوية أبي مدين بالقدس وقرية عين كارم؛ ووقف الشيخ عمر المصمودي، الذي يشمل زاوية المغاربة وعددا من الدور في حارة المغاربة؛ ووقف السلطان علي بن عثمان المديني، الذي كان يشتمل على عقارات وأراض في القدس وعلى مصحف كتبه السلطان بخط يده ووقفه على الحرم القدسي. وهذه الأوقاف الثلاثة تمت في القرن الثامن الهجري[1].

لماذا تأسيس حارة المغاربة؟

كان من جملة الأمثلة على ما ذكرناه آنفا هذه الحارة، التي تنسب للمغاربة، الذين وصلوا من الأندلس وشمال إفريقيا في زمن صلاح الدين الأيوبي، وكانت من أشهر الحارات الموجودة في البلدة القديمة بالقدس الشريف،

---

(١) انظر: وقائع الندوة الإسلامية لشؤون القدس، ص٦٧-٦٨.

وكانت هذه الحارة بالكامل وقفاً من الملك «الأفضل علي» بن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير المدينة من الصليبيين، حيث أوقفها بأكملها على المجاهدين المغاربة، الذين شاركوا في الفتح وبقيت باسمهم، وقرر أن مدخول جميع هذا الوقف يوزع على عامة المغاربة؛ وباتت تعرف بحارة المغاربة.

وقد أوقف الملك الأفضل حارة المغاربة على مصالح طائفة المغاربة المقيمين في القدس إبّان سلطنته على دمشق (٥٨٩هـ/١١٩٣م-٥٩٢هـ/١١٩٥م) حين كانت القدس تابعةً له بُغيةَ تشجيع أهل المغرب العربي على القدوم إلى القدس والإقامة فيها ومساعدة سكّانها المغاربة، الذين فضّلوا الاستقرار والمجاورة بالقرب من مسجدها المبارك؛ ولذلك كتب مجير الدين: «ووقف أيضاً حارة المغاربة على طائفة المغاربة، على اختلاف أجناسهم، ذكورهم وإناثهم، وكان الوقف حين سلطنته على دمشق، وكان القدس من مضافاته».

لمحة تاريخية:

ترجع الأهمية التاريخية للموضع، الذي أُقيمت عليه حارة المغاربة إلى العصر الأموي حين أنشأ الأمويون عدداً من القصور الملاصقة لسور المسجد الأقصى المبارك من الناحيتين الجنوبية والجنوبية الغربية، ويرجع تاريخ تأسيس حارة المغاربة إلى العصر الأيوبي، وقد عُرفت حارة المغاربة باسمها بعد أن أوقفها الملك الأفضل، وحافظت على عروبتها وإسلامها منذ أن تأسست بعيد الفتح الصلاحي لمدينة القدس، وسكن المغاربة في حارتهم ولم يغادروها حتى داهمت

جرّافات الاحتلال الإسرائيلي بيوتهم لتدمرها بتاريخ ١١-١٢-١٣، حزيران، سنة ١٩٦٧م، وكان مما ميّز موقع الحارة وجود الزاوية الحُتنية القريبة منها، تلك الزاوية، التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي على الشيخ جلال الدين محمد ابن أحمد ابن محمد الشاشي[1] في ١٨ ربيع الأول سنة: ٥٨٧هـ/١١٩١م.

الأهمية الدينية:

كان دخول نبينا محمد ﷺ مدينة القدس من بابها اليماني كما ورد في رواياتٍ تاريخية حيث أصبح موضعه من ذلك اليوم يعرف بباب المغاربة؛ وذلك تأكيداً على المكانة، التي تميّز بها هذا المكان القريب جداً من الحائط، الذي ربط الحبيب ﷺ فيه البراق الشريف، وينقل مجير الدين رواية الإسراء بقوله: «ثم انطلق بي جبريل عليه السلام حتى دخلت المدينة من بابها اليماني الجنوبي، فأتى قبلة المسجد، فربط بها البراق ودخلت المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر»، ويضيف قائلاً: «قال مؤقتو بيت المقدس لا نعلم بابا بهذه الصفة إلا باب المغاربة».

وقد ارتبط تاريخ الحارة بوجود حائط البراق الشريف، الذي كان هو أيضا من جملة الأوقاف، التي شملها وقف الملك الأفضل نور الدين علي بن الناصر صلاح الدين الأيوبي، كما أنّها كانت قبلةً لأهل المغرب العربي ممن رأى منهم أن يُجاور في المسجد الأقصى ويرابط في القدس ليختم حياته هناك، ومقصداً للصوفية من أتباع كل من أبي مدين الغوث الحفيد والشيخ الزاهد عمر

---

(١) نسبةً إلى شاش التي عُرفت لاحقاً بطشقند.

المصمودي وغيرهما، كما شهدت الحارة ملتقىً لأتباع المذهب المالكي بسبب تمركزهم فيها ووجود المدرسة الأفضلية، التي أوقفها الملك الأفضل.

وقد احتضنت الحارة عدداً من المؤسسات الدينية والوقفية، التي لعبت دوراً بارزاً في الحركة العلمية والفكرية والدينية في القدس إبان العصر الأيوبي ثم العصرين المملوكي والعثماني؛ ذكرها مجير الدين: «حارة المغاربة وهي بجوار المسجد من جهة الغرب ونسبتها إلى المغاربة؛ لكونها موقوفة عليهم وسكنهم بها».

وتميزت حارة المغاربة بجملة من الأوقاف الكبيرة، التي ضمنت استمرار وتدفّق المعونات والأموال والصدقات على مستحقيها من الأصول المغربية، المقيمين فيها والواردين إلى القدس، المقيمين في زوايا الصوفية فيها، كزاوية أبي مدين الغوث الحفيد، مؤرخ وقفها في ٢٨ شهر رمضان سنة ٧٢٠هـ- ١٣٢٠م، وزاوية الشيخ الناسك عمر بن عبد الله المصمودي المؤرخ وقفها في ثالث شهر ربيع الثاني سنة ٧٠٣هـ- ١٣٠٣م، وقد ازدهرت أوقافها في العصر المملوكي حين ظهرت أوقاف أبي مدين والمصمودي، وراح سكانها ينخرطون في الحياة الدينية في القدس لا سيما إمامة السادة المالكية في القدس، وقد ظهر منهم علماء وفقهاء وشيوخ دين كان لهم دورٌ بارزٌ في تاريخ القدس، الذي أخذت ملامحه تتكشف على نحوٍ تفصيلي بعد ازدياد الاهتمام بالكشف عن وثائق سجلات المحكمة الشرعية في القدس ووثائق الأرشيف العثماني في استنبول.

مباني حارة المغاربة العريقة:

ضمّت الحارة عشرات المباني، التي يعود تاريخ بعضها إلى العصر الأيوبي، كان أشهرها المدرسة الأفضلية، وقد بلغ عدد المباني الأثرية، التي هدمتها جرّافات الاحتلال الإسرائيلي (١٣٥) بناءً أثرياً امتدت فوق الساحة، التي أخذ يطلق عليها اليهود فيما بعد ساحة المبكى، وتكشف خارطة أفقية للقدس قبل تدمير الحارة المباني الأثرية، التي كانت قائمة فيها وطرق حارة المغاربة.

انتشار أوقاف أخرى بالحارة:

- وعلى مر الزمان انتشرت في الحارة الأوقاف المتعددة من مدارس وأبنية ومصليات وزوايا وغيرها.. إلخ.

- هذا، وقد أسس المغاربة مسجداً وسموه »«جامع المغاربة»«.

- وكانت لهم زاوية تعرف بزاوية المغاربة جنوب غرب الحرم.

- وكذلك الزاوية الأفضلية، التي كانت ضمن حدود حارتهم.

- وكانت حارة المغاربة تضم، علاوة على المنازل، عديداً من المرافق، أهمها المدرسة الأفضلية، التي بناها الملك الأفضل وسميت باسمه «المدرسة الأفضلية»[1].

---

(١) وقد تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذي وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة حماية لمنطقة البراق المقدسة، وأنشأ فيها مدرسة. وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك المعظم عيسى بن تحمد ابن أيوب، الذي أجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفي الوحيد من الأسرة الأيوبية). ولكن المعظم عاد فدمر أسوار

عمل الكثير من المغاربة بعد ذلك على صيانة هذا الوقف وتنميته؛ وذلك بمجموعة من الإجراءات العملية؛ والمقصد منها هو رعاية الأوقاف المغربية واستدامتها، وبقاء التعلق المغاربي بهذه الأرض المقدسة؛ وكان منها على سبيل المثال لا الحصر اقتناء العقارات المجاورة للحي وحبسها صدقاتٍ جارية، ولعل من أشهر هؤلاء، الذين يذكرهم التاريخ ولا يمكن أن تقبر أسماؤهم أو يتعرضوا لطيّ النسيان؛ إنه العالم **أبو مدين شعيب** تلميذ الشيخ سيدي صالح حرازم ودفين تلمسان (٥٩٤هـ) الذي حبّس مكانين كانا تحت تصرفه، أحدهما قرية تسمى **عين كارم** بضواحي القدس، والآخرُ **إيوانٌ** يقع داخل المدينة العتيقة ويحده شرقا حائط البراق. ظلت جميع تلك الأوقاف محفوظة عبر السنين، وظلت الدُّول المتعاقبة على الحكم تحترمها خاصة أيام الفتح العثماني وحتى بعد الاحتلال البريطاني إلى أن كان العدوان الصهيوني الغاشم والمتوحش فنشب أظفاره الخبيثة في أوقافنا المغربية الطاهرة، ولم يرع فيها إلاً ولا ذمة، والله المستعان!

القدس خوفا من استيلاء الصليبيين عليها، وخرب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف. وتلا المعظم بعد فترة وجيزة أخوه الملك الكامل الذي عقد اتفاقا مع الامبراطور فريدريك الثاني ملك الفرنجة، سلمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف. وسلمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والاستنكار سنة ٦٢٦هـ، ١٢٩٠م، وبقيت في أيديهم حتى ٦٣٧هـ، ١٢٣٩م، عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل. ثم عادت إلى الإسلام نهائيا سنة ٦٤٢هـ، ١٢٤٤م، عندما استردها الخوارزمية لملك نجم الدين أيوب ملك مصر. انظر: قصة مدينة القدس، ص ٢٥.

لماذا عناية اليهود تركزت على حارة المغاربة؟ مع تصحيح مفهوم حائط المبكى!

لقد كانت حارة المغاربة في القرون الأخيرة محط أطماع اليهود؛ لأنها تقع عند حد حائط البراق، الذي يعرف عندهم بالحائط الغربي. ومن المهم أن نؤكد أن الحائط الغربي ليس هو الحائط الغربي للهيكل، أو قدس الأقداس عند اليهود، وإنما هو الحائط الاستنادي الخارجي لما يسمونه جبل البيت؛ لأن الحائط الغربي للهيكل، الذي بناه هيرودس دمر تدميرا تاما في القرن الثاني بعد الميلاد، وإذا كانت التوراة تتحدث عن الحائط الغربي للهيكل فإنها لم تشر بكلمة إلى الحائط الغربي لجبل البيت. ومن المهم أن نؤكد أن هذا الحائط الأخير لم يكن مكان صلاة عند اليهود حتى القرن السادس عشر الميلادي.

وتقول الموسوعة اليهودية: «إن الحائط الغربي أصبح جزءا من التقاليد الدينية اليهودية حوالي سنة ١٥٢٠م».

إن اتخاذ حائط المبكى مكانا للصلاة والعبادة ارتبط منذ ذلك الوقت بالأطماع السياسية لليهود والدول الغربية. وقد بلغت هذه الأطماع ذروتها في القرن التاسع عشر، واتخذت أشكالا مختلفة منها محاولة رصف الرصيف المجاور للحائط وشراء حارة المغاربة والحائط والرصيف والقيام بأعمال استفزازية مختلفة عند الحائط.

وقد أدت محاولات اليهود الاستيلاء على الحائط ومنطقة البراق إلى اصطدامات مسلحة بعد بداية الانتداب البريطاني، كان آخرها ثورة البراق، التي نشبت في القدس وسائر أنحاء فلسطين سنة ١٩٢٩م دفاعا عن المسجد

الأقصى وعن البراق. وقد تمخضت هذه الثورة عن إحالة قضية البراق إلى لجنة دولية وضعت سنة ١٩٣٠م تقريرا أيدت فيه حق المسلمين، الذي لا شبهة فيه بملكية حائط البراق والرصيف، الذي يحاذيه بوصفهما من أملاك الوقف الإسلامي.

وعندما احتل الإسرائيليون القدس سنة ١٩٧٦م كان أول ما فعلوه الاستيلاء على رصيف البراق وتسوية حارة المغاربة بالأرض[١].

رواية من مصادر إسرائيلية جديرة بالانتباه:

ويروي الصحفي الإسرائيلي «عوزي بنزيمان» في كتابه «القدس: مدينة دون سور» أنه في: ٨- ٦- ١٩٦٧م، توجه إلى ساحة «الحائط الغربي ديفيد بن غوريون وتيدي كوليك رئيس بلدية القدس الغربية، برفقة يعقوب يناي مدير سلطة الحدائق الوطنية، ووقف الزعيم المسن ابن غوريون أمام الحائط المقدس وبكى بمرارة، وبعدها أمر أحد الجنود المكلفين بالحراسة لكي يزيل من على الحائط لوحة «البراق» التي وضعت عليه في فترة الحكم الأردني. وقال يناي لرئيس البلدية: «يجب العمل على تنظيف المنطقة، ويجب أن نمنح الحائط رونقه». واستجاب كوليك، وتوجه إلى الجيش الإسرائيلي وإلى جهات أخرى، وبعد أيام تمّ إخلاء الحي السكني وهدمه (حي المغاربة) المجاور للحائط الغربي، وأقيمت في أسفل الحائط ساحة كبيرة مساحتها ٢٠ ألف متر مربع، وكانت من أكثر الأعمال، التي رمزت لتبدل السلطة على الحائط.

---

(١) انظر: وقائع الندوة الإسلامية لشؤون القدس، ص ٦٨-٦٩.

ما هو رصيف البراق؟

إن ذاك الرصيف هو عبارة عن زقاق ضيق عرضه أربعة أمتار وطوله ثلاثون مترا، كان يسلكه المغاربة إلى بيوتهم في حارتهم على أرض الوقف، وبعد احتلال القوات البريطانية مدينة القدس أواخر عام ١٩١٧م، جدّد اليهود محاولاتهم بوضع اليد وتملّك جميع ما في ذلك الموقع من ممتلكات وأوقاف إسلامية. ويلاحظ أنّ الاعتداءات اليهودية استمرت على الحائط طوال فترة العشرينيات لمحاولة تغيير الوضع السائد، وتمثل ذلك بجلب الكراسي والمصابيح والحصر وتابوت العهد وكتب التوراة ووضع الستار الفاصل بين الرجال والنساء، ما أدى إلى قيام ثورة البراق عام ١٩٢٩م، والتي أودت بحياة العديد من العرب المسلمين وكذا من اليهود.

ولأهمية الحارة ضمن أوقاف المغاربة نسوق حجة وقف الملك الأفضل نور الدين علي، رحمة الله عليه.

حجة وقف الملك الأفضل نور الدين علي (حارة المغاربة):

الرقم: ٨.

التاريخ: ٥٨٩هـ/١١٩٣م – ٥٩٢هـ/١١٩٥م، وقد أعيد تسجيل حجة الوقف في ١٥ شوال، سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م، ثم في ٢٦، شعبان، سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م.

الواقف: الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي.

الموقوف: حارة المغاربة في القدس.

جهات الوقف: فقراء المغاربة في القدس.

المصدر: س. ش ٧٧ ص: ٥٨٨.

نوع الوقف: خيري.

حجة الوقف: شرط واقف محلة المغاربة قيد بإذن مولانا .. شجاع الدين أفندي قاضي القدس الشريف .. وهذا الكتاب متصل الثبوت والتنفيذ بحكم الشريعة إلى يومنا هذا. وقُيد في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وأربع.

بسم الله الرحمن الرحيم، يشهد من أثبت اسمه وشهادته آخر هذا المحضر؛ وهم يومئذ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم وخبرة بما يشهدون به شهادة عرفوا صحتها وتحققوا معرفتها.. لا يشكون فيها ولا يرتابون .. ويلقون الله بأدائها أنهم يعرفون جميع الحارة المعروفة بحارة المغاربة الكائنة بمدينة القدس الشريف. ويحدها وتشمل بالحدود الحد الأول وهو القبلي ينتهي إلى سور مدينة القدس الشريف وإلى الطريق المسلوك إلى عين سلوان، وغيرها، والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي إلى حائط الحرم الشريف، والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات، والحد الرابع وهو الغربي ينتهي إلى دار الفاضل، وإلى سفل الدار المعروفة بالمولى القاضي الإمام العالم شمس الدين قاضي القدس الشريف، ثم إلى دار الأمير عز الدين موسكي، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز، ويشهد شهوده أنّ هذه الحارة المعيّنة المحدودة أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين

علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، رحمهما الله تعالى، على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم، ذكورهم وإناثهم، كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم، وأصولهم وفصولهم؛ ليسكنوا فيها وفي مساكنها وينتفعوا بمرافقها على قدر طبقاتهم وما يراه الناظر عليهم وعلى وقفهم من ترتيب ذلك، وتفضيل من فضله، وتقديم من يقدمه، بحيث لا يتخذ شيء من المساكن، التي ملكها ولا احتجازاً ولا بيعاً وقفاً مؤبداً شرعياً ماضياً جارياً على هذه الطائفة المغاربة، كان من كان، ويشهد شهوده أن النظر في ذلك وفي كل جزء منه وفي ترتيب أحواله ووظائفه وأموره راجع إلى من يكون شيخاً قدوة من المغاربة المقيمين في كل عصر وأوان بالقدس الشريف يتولى ذلك بنفسه وله أن يُولّي من اختار وآثر وأن يستنيب عنه من يقوم مقامه، وله عزله إذا أراد وإذا رأى وقف وحبس.. ويشهدون به، وبذلك كتبوا شهاداتهم في اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وستين وستمائة وبالأصل إلى .. المسطرة صورته ثم إلى دار الأمير عماد الدين ابن موسكي إلى دار الأمير حسام الدين قايماز وكذلك إصلاح دار الفاضل وهذا الملحق المذكور .. بذمتها هذه السنة وبناء على ذلك يعلم.

ذاكرة اقتلاع المغاربة من حارتهم والحنين إلى الديار:

وقد أتت معاول العدوان الغاشم في ظرف بضعة أيام على طرد سكان الحارة المغربية البالغ عددهم آنذاك ٦٣٥ نسمة. وعلى هدم ١٣٨ بناية من ضمنها جامع البراق الشريف وزاويته، و«جامع الأفضلية»، ومكتب إدارة

الأوقاف ومخازنها، ويقدر مجموع ثمنها بـ ٢٠٧١٠٠٠ دينار أردني. ولم تمض سنة على هذه الكارثة المهولة حتى أقدم الكيان الصهيوني إلى إصدار قرار جائر يقضي بامتلاك عدد من الأراضي والعقارات كان فيها ما ترجع ملكيته لوقف الشيخ أبي مدين وأوقاف المحسنين المغاربة[1].

ثم استهدفت السياسة الصهيونية الأوقاف المغربية مرة أخرى بالهدم والنسف سنة ١٩٧١م بدعوى القيام بحفريات واستكشاف الآثار اليهودية بين أوقاف المغاربة حسبما أعلنته الصحف الصهيونية «دفارا» بتاريخ: ١٤/٧/١٩٧١م، و٢/ ٨/١٩٧١م، وها آريتس بتاريخ: ١٩/٠٧/١٩٧١م، و٥/٣/١٩٧١م.

وعلى الرغم من اندثار الحارة وشطبها عن بكرة أبيها من خارطة القدس، إلا أنها بقيت بكل تفاصيلها، بأزقتها وشرفاتها عالقة في ذاكرة سكانها، الذين هُجِّروا منها قسرًا، ولدينا شاهدة عيان هي أم داود الدجاني مصرحة:

«دائمًا أحلم بالعودة إلى حارتي، التي شهدت زهوة طفولتي ومرحي، أحنُّ إلى أزقَّتها، التي باتت محرمة إلا على الصهاينة، الذين حولوا تفاصيل الحارة إلى

---

(١) وقد اعترض المتوليان الشرعيان على الأوقاف المغاربة آنذاك السيدان «عيسى هاشم السوسي» و«محمد إبراهيم عبد الحق الفكيكي» على هذا القرار اليهودي محتجين أن القوانين والشرائع الدولية للدولة المحتلة لا تجيز أن تستملك أي قطعة من الأراضي المحتلة، وأن هذه العقارات هي أوقاف إسلامية غير قابلة للبيع أو التصرف بالهدم أو الهبة أو غيرها، وطالبا في وثيقتها بإعادة النظر في قرار وضعة اليد على الأوقاف المغربية، على الأقل أسوة بممتلكات وأراضي ومقدسات الجاليات اليهودية في بلاد المغرب.

حائط المبكى، الرمز الأساسي لديانتهم وصلواتهم»، تصمت المرأة قليلاً ويأخذها الحنين إلى تفاصيل بيتها وأيام عمرها الوردية، ثم تبتسم قليلاً وكأن مشهدًا جميلاً مرّ في شريط ذكرياتها، فتشير أنها رأت طفولتها وتنقلها كفراشة بين أزقة الحارة، بينما الآن لا تجرؤ على اختلاس النظر إليها،

وتابعت: «أحلم أن أعود مجددًا للحارة؛ لأقضي فيها يومًا واحدًا من عمري، وبعدها لينقضِ الأجلُ».

فتؤكد مستطردة أن قوات الاحتلال عمدت إلى إخراجهم بالقوة وتحت التهديد بهدم البيوت على رؤوسهم، الكثيرون انصاعوا وخضعوا للأوامر العليا، وخرجوا مشتتين إلى الأحياء والمناطق المجاورة، حاملين بقلوبهم آلام الفقد، ومرارة الافتقاد لتفاصيل الحارة، التي سويت بالأرض بفعل الجرافات الصهيونية غير أنها تتجه بالحديث لحقيقة أخطر وأكبر تزيد من آلامها، وتلهب مشاعر الحزن بقلبها، قالت:

«أثناء هدم قوات الاحتلال للحارة تم اكتشاف العديد من الآثار، التي تؤصل تاريخيًا للحارة، إلا أنهم كالعادة استولوا عليها وهودوها تمامًا، كما الأرض، ادَّعوا أنها يهودية الأصل، غير أن تفاصيل الجدران وما كتب عليها من ألفاظ، ونقش عليها من رسومات، كلفظ الجلالة، ونجمة المغاربة الخماسية، التي ترمز للصلوات الخمس، التي استبدلت بنجمة داود، تدحض كل الادعاءات الواهية، وتؤكد على أن الحارة عربية أصيلة».

وأشارت أم داود إلى بعض المناطق، التي تفرق إليها سكان حارة المغاربة، وهناك استطاعوا الاندماج بالفلسطينيين، فأقاموا معهم علاقات نسب

ومصاهرة، وكونوا أسرًا، وبات الكثيرون منهم يتحدث اللهجة الفلسطينية مع المحافظة على أصولهم المغربية، وأوراقهم الرسمية القديمة، التي تحفظ لهم حقوقهم، آملين في استعادتها يومًا من الأيام،

وأضافت: «أتمنى أن أعود لحارتي فما زالت تفاصيلها منقوشة في ذاكرتي، وأستطيع أن أرسمها شارعًا شارعًا، وبيتًا بيتًا، ودكانًا دكانًا، لن تغادرني تفاصيلها إلا عند توقف قلبي عن النبض بالحياة».

حارة المغاربة في وقتنا الحاضر:

اليوم، عندما يطل المرء من الجهة الغربية من المسجد الأقصى وينظر صوب الغرب فلا يرى أثرا لذلك الحي الإسلامي المسمى بحارة المغاربة بعد أن كان أحد أحياء القدس العربية المزدحمة بالسكان المسلمين الفلسطينيين، أصبح هذا الحي بمنازله ومساجده وأزقته أثرا بعد عين! وقد سويت الحارة مع الأرض فأصبحت قاعا صفصفا، والآن هي ساحة واسعة مبلطة تستعمل أرجاؤها!

ولم تقتصر الاعتداءات على هدم حي المغاربة وإزالته من الوجود وإنما تعدته الاعتداءات على الأماكن المجاورة للحي والملاصقة للسور الغربي للحرم القدسي الشريف، وكان أهمها في ١٦- ٠٦- ١٩٦٩م، ودون سابق إنذار خرجت وزارة الأديان الإسرائيلية ببيان تعلن فيه أن أعمال هدم زاوية أبي السعود المحاذية للحرم القدسي الشريف والملاصقة لحارة المغاربة قد بدأت بالفعل وادعت سلطات الاحتلال بأن هذا الهدم لأغراض «السلامة العامة»؛ وهي تسمى بالزاوية أو الخانقاه الفخرية، وهي مجاورة

لجامع المغاربة على بعد مائتي متر من المسجد عند الباب، الذي يخرج منه إلى حارة المغاربة.

وقد وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله ناظر الجيوش الإسلامية، توفي سنة ٧٣٢ هـ/١٣٣١م، وكانت في القرن العاشر الهجري مدرسة وكان ناظرها وشيخها في سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٠م بهاء الدين بن حامد، وكان تعيينه بأمر من السلطان مادام على قيد الحياة، وكان لصلف وعنجهية الناطق بلسان وزارة الأديان الإسرائيلية أن صرح أن وزارته بدأت بهدم المباني، المجاورة للجهة الجنوبية من حائط المبكى وأن جميع المباني، التي ستهدم مهجورة ولا يسكنها أحد، وهذا ادعاء زائف ومغالط للحقائق.

وأخيراً، فإن محو حارة المغاربة والاعتداءات المتكررة على القدس عامة والمسجد الأقصى المبارك، بشكل خاص، هي أعمال يراد بها تهويد مدينة القدس والعمل على تقليص الوجود الإسلامي العربي فيها، ولكنهم يمكرون والله سبحانه وتعالى يصد مكرهم، وهو كفيل بحماية بيته من دنس الكافرين والحاقدين[1].

باب حارة المغاربة القديم:

والظاهر أنّ اسم باب حارة المغاربة قد اكتسبه بعد وقف الحارة على جمهور المغاربة في القدس؛ للأسباب التي أسلفنا ذكرها، ولا يُعرف إذا ما كان

---

(١) انظر: صحيفة التجديد المغربية بتاريخ: ٢٠٠٢/٠٦/٠٥م، مقال: وقف المغاربة بالقدس والتدمير الصهيوني، بقلم: د. حمد أحمد عبد الله يوسف.

قد أعيد بناؤه في زمن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، حين همّ ببناء سور القدس. وقد استعمل باب المغاربة منذ ذلك التاريخ؛ ليكون مدخل ومخرج المغاربة المجاورين في القدس والمقيمين في حارة المغاربة، وكان هذا الباب يقع إلى الغرب من موضع الباب الحالي، وقد كُشف قبل بضع سنواتٍ عن موضعه وفتح مكانه في السور[1].

باب حارة المغاربة الجديد:

وهو المدخل الجنوبي لمدينة القدس؛ إذ يقع على امتداد الجدار الواصل إلى قبة المسجد الأقصى المبارك؛ أمر بفتحه السلطان سليمان خان القانوني في سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، في مكانٍ غير بعيد عن باب حارة المغاربة القديم، وقد أُدخل في محيط باب حارة المغاربة الجديد عددٌ من المنشآت بُنيت خارج سور

---

(١) عُرف هذا الباب في مطلع الإسلام بالباب اليماني، فهو الذي دخل منه النبي ﷺ حين أُسري به إلى المسجد الأقصى، وقد نقل العليمي رواية الإسراء بقوله: «ثم انطلق بي جبريل حتى دخلت المدينة من بابها اليماني (الجنوبي) فأتى قبلة المسجد، فربط بها البراق ودخلت المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر»، ويضيف قائلاً: «قال مؤقتو بيت المقدس لا نعلم بابا بهذه الصفة إلا باب المغاربة». وقد عُرف أيضاً بباب سلوان لكونه يؤدي إلى قرية سلوان جنوبي القدس، وقد ذكره المقدسي البشاري بهذا الاسم بين سنتي ٣٧٥هـ/٩٨٥م- ٣٨٠هـ/٩٩٠م، وهو بذلك يعود بتاريخه إلى ما قبل العصر الفاطمي في القدس، ثم كرّر ياقوت الحموي في سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م ما ذكره المقدسي. هذا، ولا تذكر وقفية الملك الأفضل لحارة المغاربة شيئاً عن هذا الباب عند حديثها عن الحدود الجنوبية للحارة، إلاّ أن مجير الدين عرّج على ذكره قائلاً: «وأما الأبواب التي للمدينة: فأولها من جهة القبلة باب حارة المغاربة».

القدس عُرفت بمجتمعةً بحارة المغاربة البرآنية، ويوجد نقش تأسيسي يؤرخ لفتح الباب في سنة: ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، وقد عُرف الباب بأسماء عدّة كان أبرزها باب المغاربة، وباب المغارة، وباب الدبآغة، وباب الدمن.

أوقاف بجوار باب المغاربة:

وثمة وثائق تؤكد هذا الكم الضخم من الوقفيات، ومنها وقفية تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي والتي تشمل تعمير بعض المرافق القريبة من باب المغاربة المعروف بباب البراق، وهي من وقف الحاكم العثماني في القدس آنذاك مصطفى باشا المعروف ببكت آخي.

واشتمل الوقف على حجرة صغيرة تقع قرب جامع المغاربة وهي معدة لقراءة القرآن والذكر والتسبيح، كما عمّر بمحاذاتها سبيل ماء يعرف حالياً بسبيل باب جامع المغاربة أو سبيل البديري، كما أوقف خمسة قناديل، ثلاثة منها في قبة الصخرة، وواحد في باب البراق «المغاربة» والأخير في سبيل الماء للتيسير على من يرد إليه في الليل والنهار.

حتى تبقى هذه المنشآت عامرة، أوقف عليها عقارات، ومنها: دكاكين في سوق باب القطانين، وحواكير في حارة المغاربة، وقد جاء في نص الوقفية المؤرخة في غرة رمضان: ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م، أن المتولي على وقف السبيل هو الشيخ أحمد الحامدي المفتي المالكي في بيت المقدس، وإمام جامع المغاربة، أما الخدمة على السبيل والسقاية فيه، فقد تولاها الشيخ يحيى، وسليمان بن شعلان.

معاناة باب المغاربة وما جاورها:

وقد شهدت السنوات الماضية أعمال تجريف إسرائيلية لهدم الممر والجسر الموصل لباب المغاربة، وإزالة التلة الترابية، وهدم غرفتين مضت قرون طويلة على إنشائهما، إنها تتحدث عن التاريخ والحضارة والأصالة، وهذا العمل يمس بجزء أصيل من المسجد الأقصى المبارك؛ لأن حائط البراق جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك والذي تبلغ مساحته مائة وأربعة وأربعين دونما، وقد تم إماطة النقاب عن اكتشاف بقايا غرفة صلاة إسلامية قديمة في التلة الترابية في باب المغاربة اكتشفت في ٢٠٠٤م، عندما انهار جزء من التلة في ساحة حائط البراق، وبقي الموضوع سرياً حتى الآن لدى المسؤولين الإسرائيليين، والحديث يجري عن مصلى هو جزء من مدرسة لتعليم الدين الإسلامي عملت من فترة صلاح الدين الأيوبي- الفترة الأيوبية- في القرن الحادي عشر قرب باب المغاربة.

إن كل الدراسات تشير إلى أن الغرفة، التي كان فيها محراب تعلوها قبة هي من المدرسة الأفضلية، التي بناها الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي، الذي كان يشغل منصب حاكم القدس وتولى الحكم بعد أبيه عن ولاية الشام.

إن وقف الأراضي والمساكن المحيطة بموضع البراق الشريف على طائفة المغاربة، كان يهدف إلى مساعدة المغاربة من جهة وإلى المحافظة على منطقة البراق الشريف، لأهميتها الدينية وارتباطها بإسراء النبي ﷺ من جهة أخرى[1].

---

(١) انظر مقال المدرسة الأفضلية ووقف المغاربة عن موقع الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة نشر بتاريخ: ٢٣- ٠٢- ٢٠٠٧م.

المبحث الثالث: حائط البراق الشريف:

يقع حائط البراق الشريف غربي المسجد الأقصى المبارك، ويشكل امتداداً للجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، ويعرف باسمه هذا؛ لأن النبي ﷺ ربط البراق ليلة الإسراء والمعراج بجوار هذا الحائط.

يبلغ طول الحائط حوالي ٤٨ متراً، وارتفاعه حوالي ١٧ متراً فاصلاً حارة المغاربة عن المسجد الأقصى المبارك، وقد دخل هذا الحائط في وقف أبي مدين الغوث الحفيد، كما أنّه يعد جزءاً لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك.

وقد كان أمام هذا الحائط قبل سنة ١٩٦٧م، رصيف طوله ٣,٣٥ متراً وعرضه ٣,٣٥ متراً، كان يقف عليه اليهود للصلاة منذ فترةٍ غير طويلة، ولما حاولوا إحداث تغيير على وضع الرصيف وإحضار كراسي وأدوات أخرى تفجرت ثورة عارمة في فلسطين في سنة ١٩٢٩م عرفت بثورة البراق؛ ولهذا السبب اقترحت الحكومة البريطانية على لجنة الانتداب الدائم التابعة لعصبة الأمم تعيين لجنة دولية لدراسة هذه القضية والتحقيق في ادعاء اليهود بملكية حائط البراق.

عُيّنت اللجنة الدولية في أيار، سنة: ١٩٣٠م، وقضت اللجنة في تقريرها في كانون الأول، سنة: ١٩٣٠م، أنه «للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي للبراق الشريف، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف، التي هي من أملاك الوقف،

وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهة البر والخير».

لقد حوّلت سلطات الاحتلال هذا الحائط بعد تدمير حارة المغاربة في سنة: ١٩٦٧م، إلى حائطٍ للبكاء، وعرف لديهم بحائط المبكى، ثم قامت بتوسيع الرصيف المقابل للحائط وتحويل ما تدمّر من آثار حارة المغاربة إلى ساحة تعرف اليوم بساحة المبكى.

وتذكر الموسوعة اليهودية أن الحائط الغربي — حائط البراق — قد أصبح جزءاً من التقاليد الدينية اليهودية منذ سنة ١٥٢٠م، نتيجة لهجرة اليهود من الأندلس وبعد الفتح العثماني للقدس وفي ذلك اعتراف من اليهود أنّ هذا الحائط لم يكن مقدساً لدى اليهودية قبل ذلك التاريخ.

المبحث الرابع: وقفية قرية عين كارم:

المطلب الأول: توصيف قرية عين كارم وأهلها:

«عين كارم» قرية جميلة ذات الطبيعة الخلابة، والمياه الجارية والجبال العالية، تقع إلى الجنوب من مدينة القدس، ويقال: إن النبي يحيى عليه السلام وُلد على أرضها، وتُعد من كُبرى قرى القدس مساحة وسكاناً، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى عين الماء العذبة، التي تتدفق من جبالها، وتسقي أبناءها وبساتينها. اشتهرت بتربتها الخصبة، وغاباتها الحرجية وأشجارها المثمرة المختلفة في كافة

مواقعها مثل (أشجار الزيتون والكرمة والتفاحيات واللوزيات) كما تملك مساحات كبيرة من أشجار السرو والصنوبر الممتدة على مرتفعاتها المشهورة مثل (جبل العقود، ومسكري، ورأس التوتة، ورأس المدورة)، التي تبلغ ارتفاعاتها (٦٠٠) متر فوق سطح البحر. وتوجد بها العديد من ينابيع المياه العذبة أهمها عين البلد، ونبع عين رواس، ونبع بعيقشة، وعين الحنو، وعين الشقاق الغربي، وعين الخندق والخارجة.

تتمتع عين كارم بطقس بارد شتاءً، وحار صيفاً، ولطيف ربيعاً وخريفاً، وإن وجود الغطاء الخضري، الذي يكسو أرضها وجبالها، وارتفاعها عن سطح البحر، جعلاها متنزهاً جميلاً يرتادها الزوار من كافة مناطق فلسطين. وكان تعدادهم عام ١٩٠٠م، ما يقارب الألف نسمة، وبلغوا في سنة احتلال اليهود للقرية عام ١٩٤٨م حوالي ٤٠٢٥ نسمة.

يعمل ذووها في الزراعة كمصدر رئيس للدخل، وبعضهم امتهن أعمال البناء والحرفيات.

توجد بها أربع مدارس: اثنتان حكوميتان، واثنتان خاصتان، وبعد احتلالها من قبل اليهود الغاصبين عام ١٩٤٨م، وإثر مذبحة قرية دير ياسين المجاورة، أُجبر أبناؤها على الرحيل عنها، والاستقرار في الضفة الشرقية لنهر الأردن، بداية في مدينة السلط ثم عمان، التي يوجد معظمهم فيها الآن، ويقطنون أحياء جبال الهاشمي الشمالي والتاج، والجوفة، والأشرفية. وبعضهم

استقر في الزرقاء. أما عشيرة جعنينة، فاستقر أفرادها في مادبا. كما أن أعدادا لا بأس بها استقرت في السعودية ودول الخليج، بالإضافة إلى الذين هاجروا إلى الأميركيتين.

يمتاز أبناء قرية عين كارم بالشجاعة والإقدام، وقدموا الشهيد تلو الشهيد منذ بدايات المقاومة ضد المتآمرين على فلسطين، بدءاً بالاحتلال الإنجليزي عام ١٩١٧م، الذي مهد لبريطانيا تنفيذ مخططها في زرع اليهود في أرضنا ثم اغتصابها بالكامل فيما بعد..

وخلال كل المعارك، التي خاضها أبناؤها، داخلياً وخارجياً، لم يتأخروا، ولم يقصروا أبداً، وقدموا الغالي والنفيس، وأوقعوا بالعدو الصهيوني خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

وفي عام ١٩٥٥م، ضم العدو الإسرائيلي عين كارم إلى بلدية القدس الغربية وأصبحت ضاحية من ضواحيها، والآن يحاول العدو الصهيوني تغيير معالمها الجغرافية وطمس هويتها العربية الإسلامية، وتخصيص جزء من أراضيها لإقامة حي للسفارات الأجنبية المعتمدة لديها، لكن شعبنا الأبي مثلهم كمثل إخوانهم الأبطال في كل مدن وقرى فلسطين الحبيبة يقفون لهم بالمرصاد، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

المطلب الثاني: قرية عين كارم قبل الاحتلال[1]:

كانت القرية تنقسم إلى منطقتين: عليا قوامها مصاطب زراعية، وإلى منطقة سفلى تقع في واد غربي المنطقة العليا ودونها. وكانت المصاطب تبرز من تلال ترتفع إلى ما فوق الموقع وتتجه شرقا. وكان في أسفل الموقع، من جهة الغرب، واد عريض منبسط. أما التلال نفسها فتواجه الغرب. وكانت المياه المتدفقة في وادي أحمد تعبر أرض القرية متجهة نحو الغرب فتروي بساتين الزيتون الواقعة في الركن الشمالي من القرية. وكانت عين كارم تعد من ضواحي القدس، وكانت طريق مرصوفة بالحجارة تربطها بالطريق العام، الذي يصل القدس بيافا والذي يمر على بعد ثلاثة كيلومترات شمالي القرية. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن هذا الموقع كان آهلا منذ الألف الثاني قبل الميلاد. وتقول إحدى الروايات: إن عين كارم هي مسقط رأس يوحنا المعمدان، كما يقال: إن السيد المسيح والسيدة مريم العذراء زارا عين كارم مرات عدة. وثمة اعتقاد أن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ مر بها ذات مرة خلال الفتح الإسلامي، وصلى فيها.

في أيام الصليبيين، سميت القرية سانت جيهان ذو بوا. أما السجلات العثمانية فتبين أن عين كارم كانت في سنة ١٥٩٦م قرية في ناحية

---

(١) مقتبس من كتاب كي لا ننسى، ص٦٤٠ وما بعدها [وليد الخالدي، كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها، ط٣ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١م)].

القدس (لواء القدس)، لا يتجاوز عدد سكانها ١٦٠ نسمة. وكانت عين كارم تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالذرة والشعير، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغلات كالماعز وخلايا النحل ودبس الخروب وكروم العنب.

ومع بداية القرن العشرين، توصل نفر غير قليل من أبناء هذه القرية إلى احتلال مناصب بارزة، كالشيخ عيسى منون، الذي تبوأ في الأزهر الشريف في مصر منصب عميد كلية أصول الدين في سنة ١٩٤٤م، وعميد كلية الشريعة في سنة ١٩٤٦م. وقيل: إن عين كارم كانت مقر القيادة السري، الذي أدار منه الزعيم الفلسطيني الشهير «عبد القادر الحسيني»، رحمه الله، عملياته في الفترة ما بين: ١٩٣٦م- ١٩٣٩م.

كانت عين كارم كبرى قرى قضاء القدس، سواء من حيث المساحة أو من حيث عدد السكان. وكانت منازلها مبنية بالحجر الكلسي والطبشوري وتعلو أبوابها ونوافذها قناطر مميزة. ٢٥١٠ من المسلمين و٦٧٠ من المسيحيين. وكان السكان يتألفون من خمس حمائل، لكل منها حوش يجتمع فيه أبناء (الحمولة) إلى ضيوفهم للسمر والاحتفال بالمناسبات الخاصة. وكانت عيون كثيرة توفر للقرية مياه الشرب. وكان في القرية مدرستان ابتدائيتان (إحداهما للبنين والأخرى للبنات) ومكتبة وصيدلية، وكان فيها أيضا نواد رياضية واجتماعية عدة وجمعية كشافة للبنين. وكان سكان القرية يشهدون

عروضا مسرحية، منها مسرحيات نوح إبراهيم الفنان والمنشد الفلسطيني، الذي أبعد عن قريته في شمال فلسطين إلى عين كارم، بسبب اشتراكه في النضال ضد الانتداب البريطاني. وكان من جملة وسائل الترفيه وسبل الإعلام الأخرى مسرح في الهواء الطلق، ومذياع في مقهى القرية موصول بمكبرات صوت لتمكين عدد كثير من الناس من الاستماع إليه.

كان لعين كارم مجلس بلدي يدير شؤونها الإدارية. وكان فيها على الرغم من وقوعها في منطقة جبلية، بعض الأراضي المستوية في الشمال (ولا سيما في منطقة تدعى المرج) تستنبت فيها الخضروات والأشجار المثمرة. وقد استنبت أشجار الزيتون وسواها من الأشجار المثمرة والكرمة على المنحدرات الجبلية. في سنة ١٩٤٤م، كان ما مجموعه ١١٧٥ دونما مخصصا للحبوب، و٧٩٥٣ دونما مرويا أو مستخدما للبساتين. وكان سكان عين كارم يعملون، فضلا عن الزراعة، في الصناعات الحرفية وفي صناعات خفيفة أخرى كمصنع تعبئة المياه المعدنية، الذي كان في القرية، على سبيل المثال. وكان في القرية عدة كنائس وأديرة، أبرزها كنيسة يوحنا المعمدان (وتسمى أيضا كنيسة مار يوحنا)، التي يقال إنها شيدت فوق الكهف، الذي ولد فيه. ومن جملة المؤسسات المسيحية الأخرى: دير الفرنسيسكان، وكنيسة الزيادة، ودير مار زكريا، وكنيسة سيدة صهيون والقبور التابعة للكنيسة. كما كان في جوار نبع يسمى عين مريم مسجد ذو مئذنة، سمي المسجد العمري تيمنا بعمر بن الخطاب ﷺ ثاني الخلفاء الراشدين.

المطلب الثالث: وقفية عين كارم، مساحتها وأهميتها:

ولقد برز اهتمام مغربي رسمي وشعبي بشراء الأملاك في القدس حسب قاعدة (الوقف)، وشمل ذلك العقارات المبنية، والعقارات غير المبنية، كما هو الشأن تماما بقرية (عين كارم) الموقوفة بكاملها من طرف الشيخ **أبي مدين الغوث**، وتقدر مساحتها بخمسة عشر ألف هكتار، وقد كانت حتى حدود سنة ١٩٤٨م من أولى القرى الزراعية، التي تمون القدس بإنتاجها من الفواكه والخضر. هذا، وتعمل إسرائيل ليل نهار على مد المستوطنات إلى قرية عين كارم.

المطلب الرابع: من هو أبو مدين الغوث بطل وقفية عين كارم؟

والحق أن في هذه الشجرة المورقة، والدوحة المنيفة، اسمين لأبي مدين:

الأول: أبو مدين الجد المعروف بالغوث.

والثاني: أبو مدين الحفيد المجاهد.

أما الأول أبو مدين الغوث؛ فهو الذي تذكر كتب التراجم أنه تلقى العلم عن مشايخ مدينة فاس العاصمة العلمية للمغرب، على غرار أبي يعزي وابن حرزهم وابن غالب، تماما كما أخذ العلم عن مشايخ المشرق، يتصدرهم الشيخ عبد القادر الكيلاني، الذي لقيه بالحرم الشريف وجبل عرفة وأخذ عنه، كما كان للشيخ أبي مدين الغوث طلاب وتلامذة زهاء ألف طالب، يناهزونها أو يزيدون عنها قليلا. وذكروا أن الشيخ عبد السلام بن مشيش (ت٦٢٦هـ)

كان من الصفوة منهم. وما زالت حومة الرميلة بمدينة فاس تشهد على أثر الشيخ أبي مدين، حيث يوجد بها مسجد »«أبو مدين»« وهو المكان، الذي مثل متعبده ومدرسته كذلك. فقد كان -رحمة الله عليه- من رؤوس المالكية في زمانه، معدودا ضمن طبقة الشعراء، وقد كان مجاهدا بحيث أسهم في نصرة المسلمين وصد الغزو عنهم؛ والشاهد عليه، كونه قد تعرض للأسر من قِبَل الروم، وقد توفي -رحمة الله عليه- عام ٥٩٣هـ بضواحي مدينة تلمسان. ويحكى أنه كان لأبي مدين الغوث ولد من جارية حبشية سماه محمدا رباه أحد تلامذته وهو الإمام عبد القادر الجزولي دفين الإسكندرية، وكان محمد هذا قوي الشكيمة؛ مما حمل بعض المؤرخين كالدكتور عبد الهادي التازي إلى الترجيح بأنه هو الذي تنعته وثيقة الوقف بالمجاهد على افتراض أنه توفي عام ٦٤٣هـ، وقد خلف ابنا سماه على والده «أبا مدين» وهو صاحب الزاوية في القدس الشريف؛ وقد توفي بالقدس بُعَيْد تاريخ الوقف عام ٧٢٠هـ، ولا يستبعد أن الجد نزل بذلك الإيوان لدى زيارته لبيت المقدس على إثر عودته من رحلة الحج، وأن الحفيد اشترى الإيوان وجعله زاوية بورا بذكر سلفه وجده على الخصوص، والله أعلم[1].

---

(١) انظر التشوف إلى رجال التصوف للتادلي: ٣١٦، نشر وتصحيح أدولف فور، ط. ١٩٥٨م، ونفح الطيب للمقري: ٧/ ١٣٦، وأنس الفقير وعز الحقير لابن قنفد: ١١، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، ط. ١٩٦٥م. وروض القرطاس لابن أبي زرع: ١٩٣، طبعة حجرية، فاس، وأوقاف المغاربة في القدس د. عبد الهادي التازي: ١٦-١٧، حاشية رقم (١٥).

المطلب الخامس: احتلال إسرائيل لعين كارم ومحاولة التعويض عنها:

قامت إسرائيل خلال عام ١٩٤٨م باحتلال جانب مهم من قرية عين كارم خارج أسوار القدس. ونظرا إلى أن المغرب كان آنذاك تحت الحماية، فقد قامت وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٥٣م برفع دعوى ضد إسرائيل، طالبت فيها بالاعتراف رسميا بكون قرية عين كارم والأراضي التابعة لها، ممتلكات مغربية، كما طالبت برفع الحجز عنها، ودفع تعويض عن استغلالها. وقد ظلت هذه الدعوى قائمة بعد استقلال المغرب، إلى أن تلقت وزارة الخارجية المغربية سنة ١٩٥٧م رسالة من وزارة الخارجية الفرنسية، تخبرها فيها بقبول إسرائيل دفع تعويض سنوي عن استغلال عين كارم، ولكن المغرب رفض الدخول في أي تعامل مع إسرائيل بخصوص هذه القضية حتى لا يفهم منه الاعتراف بها ولو ضمنيا. كما اتخذت تونس الموقف نفسه وذلك في فترة كانت فيها بعض النخوة والأنفة العربية تجاه مقدساتنا..

وقد ترتب عن احتلال قرية عين كارم أن أصبح ريع الأملاك الموقوفة غير كاف، وأصبح المستفيدون منها البالغ عددهم ألفي نسمة في حالة من البؤس والتشرد، خصوصا بعد أن اعتبرتهم المنظمات الإنسانية الدولية غير فلسطينيين (أي أصبحوا إسرائيليين)، وحرمتهم بالتالي من كل المساعدات الدولية المقدمة لباقي الفلسطينيين (من خلال الأونروا). وقد قدم المغرب إعانات مالية لهم بين سنتي ١٩٥٢م، و١٩٥٥م، كما استمر لاحقا في تقديمها بصفة منتظمة.

وفي عام ١٩٦٨م، أصدرت إسرائيل قرارا يرمي إلى استملاك عدد من الأراضي والعقارات، من ضمنها أملاك تابعة لوقف الشيخ أبي مدين. رفض المغرب هذه الإجراءات، وقدم مذكرة احتجاج إلى إسرائيل، ورفض الدخول معها في مناقشات بخصوص التعويض، كما رفض اقتراحا إسرائيليا بمبادلة زاوية أبي مدين ومسجدها بعقارات إسرائيلية في حي الواد.

المطلب السادس: عين كارم بعد الاحتلال وتطهيرها عرقيا:

طوقت عين كارم على يد وحدة عسكرية تم تشكيلها من قوى متعددة، منها إرغون تسفاني ليئومي وغدناع (وهي كتائب شبيبة الهاغاناه) وقوة الحراسة، وذلك في الأيام العشرة، التي فصلت بين هدنتي الحرب (٩- ١٨ تموز، يوليو، ١٩٤٨م)، ويذكر (تاريخ حرب الاستقلال) أن القرية قصفت أول الأمر من هضبتين مجاورتين مشرفتين عليها، سميت أحدهما- لاحقا- جبل هيرتسل كلن، بينما يزعم المؤرخ الإسرائيلي بني موريس أن سكان القرية (هجروها) يوم ١١ تموز، يوليو، تشير رواية الهاغاناه إلى أن ذلك حدث بعد أسبوع تقريبا. وكان ناطق إسرائيلي أعلن في ١٣ تموز، يوليو أن القوات الإسرائيلية احتلت عين كارم بينما أشار تقرير لاحق نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) إلى أن القرية احتلت خلال الأسبوع التالي وفي صبيحة ١٨ تموز، يوليو. وقد نقل عن لسان قائد منطقة القدس الإسرائيلي، في ٢٢ تموز، يوليو، قوله: »«إن قلعة عين كارم الصليبية»« احتلت بين الهدنتين. ووصف مسؤولون رسميون عرب الهجوم بأنه خرق لهدنة القدس، بينما قيل: إن الجيش الإسرائيلي

توصل إلى اتفاق مع لجنة الهدنة تستثنى بموجبه عين كارم من القرى، التي يشملها وقف إطلاق النار الخاص بالمدينة المقدسة.

بدأ الهجوم على عين كارم في الساعة الثانية من فجر ١٨ تموز- يوليو، إذ اقتحم الإسرائيليون أعالي جبل رب، المشرف على القرية. وفي الساعة التاسعة صباحا سقطت القرية (من دون مقاومة)، بحسب ما ذكر مراسل صحيفة (نيويورك تايمز) الذي يمضي في تقريره قائلا: إن الجيش العربي والجيش المصري المتمركزين في المنطقة (لم يبديا مقاومة تذكر). لكن من المستبعد جدا أن تكون وحدات أي من الجيشين موجودة في القرية آنذاك. ومع ذلك فقد أشار المراسل إلى أن سكان القرية، المعتبرة تقليديا مسقط رأس يوحنا المعمدان، كانوا هجروها ولم يطلق سوى بعض الطلقات النارية على (جندي) عربي وحيد وهو يفر. ويقول موريس إن بعض سكان القرية كان هرب من عين كارم في نيسان- أبريل، عقب مجزرة دير ياسين (قضاء القدس) التي تبعد ٢,٥ كلم في اتجاه الشمال الشرقي.

المطلب السابع: المستعمرات الصهيونية على أراضي القرية:

في سنة ١٩٤٩م، أنشأ الإسرائيليون مستعمرتي بيت زايت (١٦٥١٣٢) وإيفن سابير (١٦٢١٣٠) على أراضي القرية. كما أنشئت عليها في سنة ١٩٥٠م مدرسة عين كارم الزراعية (١٦٤١٣١١). أما باقي الأراضي فقد ضمته بلدية القدس الغربية الإسرائيلية إليها.

المطلب الثامن: قرية عين كارم اليوم:

«عين كارم» من القرى القليلة جدا، التي سلمت أبنيتها، على الرغم من تهجير سكانها. أما القرى الأخرى فهي: تربيخا (قضاء عكا)، بلد الشيخ والطيرة وعين حوض (قضاء حيفا)، السافرية (قضاء يافا)، دير ياسين والمالحة (قضاء القدس). ويقيم اليوم في منازل عين كارم عائلات يهودية، إضافة إلى عائلة عربية مسيحية واحدة كانت أبعدت في سنة ١٩٤٩م عن قرية إقرت (قضاء عكا)، وتعيش الآن في مبنى مدرسة قديم تابع لدير الفرنسيسكان. وثمة بين المنازل الكبرى أبنية حجرية جميلة مؤلفة من طبقتين أو ثلاث طبقات ولها نوافذ مقنطرة وأبواب محفوفة بقنطرة كبرى تتخلف قليلا (كجواف المحراب) عن واجهة البناء. ويفضي بعض الأبواب إلى شرف ذات درابزون معدني.

وفي القرية اليوم سبعة من الأديرة والكنائس، فضلا عن مقبرة للمسيحيين مجاورة للدير الروسي، وأخرى للمسلمين وسط القرية تغطيها النفايات والتراب، وهي تضم قبرا بارزا عليه بنية كبيرة. ولا يزال مسجد القرية وهو في أسوأ حال من التردي، ومئذنته قائمين. وتتدفق مياه عين مريم من صحن المسجد. وقد شيد في موقع القرية مستشفى هداسا الإسرائيلي، كما أنشئ شمالي شرقي القرية مرافق سياحية إسرائيلية تضم فنادق وأحواض سباحة.

المطلب التاسع: نص وثيقة وقف أبي مدين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد، فهذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح مرعي، اكتتبه الفقير إلى الله سبحانه، الراجي عفوه وغفرانه، الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدور أبو مدين شعيب بن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد أبي عبد الله محمد بن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي، نفع الله ببركته وفسح بمدته، وأشهد على نفسه الزكية وهو في صحته أنه وقف وحبس وسبل وأبّد وتصدق وحرم وحرر وأكد جميع المكانين الآتي ذكرهما ووصفهما وتحديدهما فيه الجاريين في يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته إلى حين هذا الوقف، يشهد بذلك من يعينه في رسم شهادته بآخر هذا الكتاب المبارك، واحد المكانين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية (عين كارم) من قرى مدينة القدس الشريف، وتشتمل على أراضي معتمل ومعطل وعامر ودائر وأوعار وسهل وصخور ساد الأتراب عليها ولا ينتفع بها بزرع وتشتمل على آثار دور برسم سكني فلاحها وبنيان بأراضيها وبستان صغير وأشجار رمان وغير ذلك يستقى من عين مائها، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط وقيقب، ولها حدود أربعة تجمعها وتحصرها وتحيط بها: الحد القبلي منها ينتهي

إلى الملاحة الكبرى، والحد الشمالي ينتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحاراش وصاطاف وزاوية البختياري، والحد الغربي ينتهي إلى عين الشقاق، والحد الشرقي ينتهي إلى بعض أراضي الملاحة الكبرى وبيت موميل، بجميع حقوقها ومرافقها ومزرعها ومفلحها وأندرها ودمنها والعين الموجودة بها والنزازات والأشجار الثابتة بها والآبار الخربة وقرامي العنب العتيقة الرومية، وما ينسب للقرية المذكورة وبكل حق هو من حقوقها، داخلة فيها وخارجا عنها، منسوب إليها، خلا ما في ذلك من مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة لهم فإن ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه، وأما المكان الثاني الموقوف فيه فإنه بالقدس الشريف بخط يعرف بقنطرة أم البنات، باب السلسلة، المشتمل على إيوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص، وسفلى ذلك مخزن وقبو؛ ولذلك حدود أربعة معلومة، وقفا صحيحا شرعيا قاطعا ماضيا صريحا مرعيا وحبسا دائما سرمدا وصدقة جارية ومعروفا موكدا وسبيلا خالصا لأهله مؤبدا والمستحقين على الدوام وقفا عليهم ولهم مرصدا محرما بحرمات الله العظيم ابتغاء لوجه الكريم وطلبا لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين، لا يباع ذلك ولا شيء منه ولا من حقوقه ولا من حدوده ولا يملك ولا يناقد ولا يحل عقد من عقوده.

ولا يرجع هذا الوقف لغير أهله، ولا يعوض على غيرهم، ولا يتبدل، محفوظا على شروطه المبيّنة، لا يبطله تقادم دهر ولا يهونه اختلاف عصر.

كلما مر عليه زمان أكده، وكلما أتى عليه أوان بينه وسدده أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. إنشاء الواقف المذكور، أعظم الله له الأجور، وقفه هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين إليها من السادات المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم، ذكورهم وإناثهم كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم، لا ينازعهم فيه منازع، ولا يشاركهم فيه مشارك، ينتفعون بذلك السكن والإيجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة على الضيع المذكورة. ويقدم في ذلك الواردين على المقيمين، والأحوج فالأحوج، والأدين فالادين. فإذا انقرضت المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيما بالقدس الشريف، سواء كان ذكرا أو أنثى، فيرجع وقفا على من يوجد من المغاربة في مكة المشرفة، زادها الله شرفا، وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة. فإذا لم يوجد أحد بالحرمين الشريفين، فيرجع وقفا على الحرمين الشريفين وشرط الواقف النظر والتولية بالقدس الشريف، ويشهد له بالرشد والتقوى.

وقد أعد المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاوية سكنا للواردين الذكور من المغاربة، وليس لإناث المغاربة الواردات ولا لذكور المغاربة المقيمين ولا لآبائهم السكن في المكان المذكور. وعلى كل من يتولى هذا الوقف أن يبدأ بعمارته وإصلاحه وترميمه وما فيه بقاء عينه ومزيد فعله وريعه وعلى ألا تؤاجر القرية مع أماكن استغلالها والمقاسمة عليها أكثر من سنتين ولا يستأنف عقد حتى ينقضي العقد الأول.

وقد شرط الواقف أن بعد الفايض من التعميرات أن يعمل المتولي في الثلاثة أشهر وهم رجب وشعبان ورمضان خبزا ويفرقه في الزاوية على المغاربة، لكل قادم من المغرب ومقيم من المغاربة بالقدس الشريف جوازي رغيفان، ذكورا وإناثا، عند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح والإخلاص والمعوذتين ثلاثا ويهدي ثواب ذلك إلى حضرة النبي ﷺ ولأصحابه وأتباعه ولروح الواقف ولجميع من ينسب بالخير في هذا الوقف، وشرط الواقف إطعامه في عيد الفطر وفي عيد الأضحية وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة، وشرط الواقف أن يتولى المتولي لكل قادم من الغرب، محتاجا ومقيما بالزاوية، ثمن الكسوة تقيه من البرد، وإذا مات مغربي ولم يكن عنده شيء فيصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف.

فقد تم هذا الوقف المبارك بتمام شروطه وأركانه وفق قواعده وصحة بنيانه ونفذ حكمه وانبرام لوقوعه من أهله في محله، على الوجه المرضي لجوازه وحله وخلوه عما يؤدي إلى نقضه وحده لكونه صار وقفا مؤكدا وحبسا دائما محررا مسددا، لا يملك ولا يتصدق به ولا يوهب ولا يرهن ولا يناقد به ولا يتعوض عنه، ولا يسلب ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه العظيم صاير: من أمير أو مأمور ذي سلطان جاير أن يبطل هذا الوقف، لا شيء منه ولا بغيره، ولا ينسى منه، ولا يقدح فيه، ولا في شيء منه، ولا يسعى في إبطاله، ولا في إبطال شيء منه، جاهراً ولا بإيماء ولا بفتوى، ولا بمشورة ولا بتدقيق حيلة يعلمه بها، الذي يعلم خائنة

الأعين وما تخفي الصدور. فمن فعل ذلك وأعان عليه فالله تعالى طلبه وحسيبه، ومؤاخذه بعمله، ومجازيه بفعله، ويلق الله وهو غضبان عليه غير راض عنه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد.

ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستبان وعيده واستحق لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه لقوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ١٨١).

وقد وقع أجر هذا الوقف على الله رب العالمين، الذي لا يضيع أجر المحسنين، وأشهد عليه، أحسن الله إليه وأجرى الخيرات على يده بجميع ما نسب إليه في هذا الكتاب، بعد أن قرئ عليه من أوله إلى آخره وتلفظ بوقف ما عين وقفه فيه على الحكم المشروح فيه في الحال والحال، ولشرط الشروط والنظر كما عاينه وبين بأعاليه وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم، سنة عشرين وسبعمائة، أحسن الله تنظيمها في خير وعافية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين.

قاضي القدس الشرعي.

المبحث الخامس: (وقفية قنطرة أم البنات في البلدة القديمة):

وقد وقف الشيخ الإمام العالم أبو مدين شعيب المغربي المالكي على زوايا أبي مدين الغوث مكانين هما: «**قنطرة أم البنات**» في باب السلسلة بالبلدة القديمة من مدينة القدس، و«قرية عين كارم»، كما مضى معنا قريبا. وقد ذكر في وقفيته عدة أهداف تعبدية وخيرية واجتماعية، بما في ذلك مساعدة الفقراء والمحتاجين من المغاربة من المقيمين في القدس؛ وذلك بتقديم المأكل والملبس لهم وتجهيز وتكفين من يتوفى منهم، فقد جاء في نص الوقفية ما نصه: «...وشرط الواقف إطعامية في عيد الفطر وفي عيد الأضحية وفي المولد الشريف للفقراء المغاربة، وشرط الواقف أن يدفع المتولي لكل قادم من الغرب، محتاجا ومقيما في الزاوية، ثمن كسوة تقيه من البرد. وإذا مات مغربي ولم يكن عنده شيء ينصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف»[1].

المبحث السادس: الدور الثلاثة بحارة المغاربة:

وقد وقف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي ثلاثة دور، كلها تقع بحارة المغاربة مع جميع ما تعرف به وينسب إليها خارجا

---

(١) انظر: محمد أسعد الإمام الحسيني المنهل الصافي في الوقف وأحكامه (القدس: المطبعة الوطنية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) ص٧٢-٧٤؛ وكتاب وقفيات المغاربة، ص٦؛ والوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص ٤٩٤-٤٩٥.

عنها أو داخلا فيها، وكانت حدودها الأربعة من الشهرة بمكان. هذا، وقد جعل مداخيلها وريعها في الإنفاق على زاوية المغاربة، التي أنشأها المجاهد المصمودي نفسه[1]، وجعل الفائض مصروفا على المحاويج خلال الشهور الثلاثة: رجب، وشعبان، ورمضان.

المبحث السابع: الزاوية المغربية:

المطلب الأول: التعريف بصاحب الوقف (الشيخ عمر المصمودي):

إن واقف الزاوية المغربية أحد أعلام المغرب؛ وهو الشيخ عمر بن عبد الله ابن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد. ويذكر مجير الدين الحنبلي أنه كان رجلا صالحا عمّر الزاوية وأنشأها من ماله ووقفها على الفقراء والمساكين في ٣، ربيع الآخر، سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وتوفي بالقدس ودفن بمقبرة مأمن الله عند حوش البسطامية[2]. وقد جاء في نص وثيقة الوقفية هذه ما وصف به الشيخ من مناقب العلماء والصلحاء ونصها: «.. فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي بن الرجل الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد»[3].

---

(١) ويأتي الحديث عنها مباشرة بعد هذا المبحث.

(٢) انظر: قصة مدينة القدس، ص ٧٣.

(٣) انظر: نص الوثيقة من هذا المبحث نفسه.

المطلب الثاني: توصيف الزاوية المغربية مع بيان شروط الاستفادة منها:

تقع الزاوية المغربية بأعلى حاراتهم في الجهة الغربية خارج الحرم. ولقد أنشأ الشيخ المجاهد عمر المصمودي هذه الزاوية - زاوية المغاربة[1]- جميعها والتي كانت تشتمل على عشر حجرات بجميع مرافقها، داخلا فيها وخارجا منها؛ وقيل زاوية المصمودي نسبة إليه. وقد سمي المكان زاوية المغاربة؛ نسبة إلى المغاربة الوافدين إلى بيت المقدس. وتقع الزاوية على بعد أمتار قليلة من المكتبة الخالدية، وهي مؤلفة من طابقين، وفي الطابق العلوي من الزاوية قبر لأحد الأولياء، وفيها مسجد كان يؤمه للصلاة بعض المجاورين له؛ وذلك من ماله، وأوقفها على الفقراء والمساكين في عام ٧٠٣هـ؛ لإيواء الزوار المغاربة، سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون، وإعالة المنقطعين منهم. وقد أنفق على متطلبات الزاوية وحاجات أصحابها والنازلين بها من ريع ومداخيل الدور الثلاثة، كما أسلفنا. والعجيب أن المجاهد المصمودي كان يتولى بنفسه الإشراف على هذه الأوقاف، ويشرف مباشرة على كل متعلقاتها، حرصا على رسالتها الوقفية، وأمانة المسؤولية بل واشترط عند غيابه أو موته أن يكون من جنس المغاربة المختارين من ذوي التقى والصلاح، وقد نددت الوثيقة بكل من

---

(١) ولما أنشئت الزاوية صارت عقارات الحي الموقوفة كلها تعرف بأوقاف أبي مدين، وقد هدمت السلطات الإسرائيلية ١٣٥ بيتاً من بيوت حي المغاربة الموقوفة في شهر حزيران عام ١٩٦٧م.

يحاول إبطال الوقف أو تفويته؛ وذلك إمعانا في مقاصد الوقف ومصارفه المفصح عنها في الحجية، التي نسوقها لأهميتها تباعا.

ويُعد الشيخ عمر المصمودي – رحمة الله عليه- من الصالحين، وكان من نصيبه أن توفي في بيت المقدس، ودفن في حوش البسطامية بمقبرة «ماملا».

المطلب الثالث: نص وثيقة المصمودي بتاريخ (٧٣٠هـ/١٣٣٠م):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما، وبعد: فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي بن الرجل الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة الدور الموجودين بحارة المغاربة مع جميع ما يعرف بهم وينسب إليهم، خارجا عنهم أو داخلا فيهم، وشهرتهم كافية عن ذكر أربعة حدودهم وجميع الزاوية، التي أنشأها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب وقدر عدد الحجرات، التي بداخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها، داخلا فيها وخارجا عنها، وقفا صحيحا من جنس المغاربة وعلى الواردين من المغاربة لبيت المقدس الشريف، فمن ذلك أعد الزاوية، التي هي بأعلى الحارة للواردين من المغاربة وسكنا إليهم، وأعد غلة الثلاثة دور المذكورين على مصالح الزاوية المذكورة وعلى إطعامية العيدين والمولد الشريف. وإن فاض شيء يشتري به

خبزا ويفرق في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين بالقدس. وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الأتقى من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف، وإنه يتقيد المتولي والناظر على الوقف لخدمة الزاوية ولإصلاحها على حسب ما هو مشروط، وإن هذا الوقف لا يرهن ولا يوهب، ولا يسلب، ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم. في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاثين وسبعمائة، والحمد لله رب العالمين.

قاضي القدس الشرعي.

المبحث الثامن: المدرسة الأفضلية:

المطلب الأول: من هو صاحب الوقفية؟

وقفها الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي ابن الملك صلاح الدين الأيوبي، وقد وقفها على فقهاء المالكية بالقدس الشريف؛ وذلك عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م[1]. ونسبت إليه فعرفت بالأفضلية.

المطلب الثاني: توصيف المدرسة الأفضلية:

تقع المدرسة الأفضلية في حارة المغاربة؛ وتقع بالضبط على بعد خمسة وسبعين متراً إلى الغرب من المسجد الأقصى المبارك؛ أوقفها «الملك الأفضل

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الشهير «بمجير الدين الحنبلي»، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (بغداد: مكتبة النهضة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ٤٦/٢.

نور الدين علي أبو الحسن»؛ وهو ابن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٢م، من جملة ما أوقفه من أراضٍ عُرفت بحارة المغاربة، كما مضى معنا قريبا؛ نسبت هذه المدرسة للملك الأفضل فعرفت بالأفضلية، وأطلق عليها كذلك مدرسة القبة؛ لوجود قبة كبيرة كانت تُميّز بناء المدرسة من الأعلى، وقد ضمّت الأفضلية رفاة أحد الأولياء الصالحين المعروف بالشيخ عيد[1].

المطلب الثالث: من إشعاع المدرسة ورجالاتها:

تولّى الشيخ «شهاب الدين أحمد المالكي» شيخ الحرم القدسي وظيفة الفقاهة في المدرسة في ثامن شهر محرم سنة ٩٥٤هـ/١٥٤٧م.

كما قام الشيخ «أحمد بن الشيخ سعيد المغربي» الناظر الشرعي على وقف الأفضلية وشيخ المغاربة في القدس بترميم المدرسة في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م.

---

(١) وقد أدّت المدرسة الأفضلية منذ العصر الأيوبي دورها في الحركة الفكرية والعلمية في القدس بين المالكية المغاربة المقيمين في القدس والزائرين إليها، وتكشف صورة يتيمة للمدرسة حُفظت في متحف روكفلر في القدس ونشرها بورغوين أنّها تتألف من واجهة مزركشة بقوسٍ على شكل وسائد حجرية ترقى إلى العصر الأيوبي، وغرفة لها قوس متعامدة، وأخرى تتوسّطها قبة حجرية فوق أقواس أربعة، مع أربعة شبابيك تفتح في الواجهة الجنوبية للبناء.

ثم تولى نظارتها «الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرزاق المغربي» في ذي الحجة سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، وتقاضى نصف قطعة فضية عثمانية.

في حين تولّى النظارة الشرعية على وقف المدرسة الأفضلية »«الشيخ شهاب الدين أحمد بن ناصر المغربي»« في سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م.

وفي سنة ١٠٤٦هـ/ ١٧٣٣م، توفي الشيخ محمد بن قاضي الصلت أحد المدرسين في المدرسة الأفضلية، وقد خلفه أبناؤه في وظيفته وهم الشيخ عبد الحق، والشيخ خليل، والشيخ حافظ الدين، والشيخ يحيى.

كما تولى الشيخ أحمد بن محمد بن يحيى الشهير بالموقت، القدسي المولد، الغزّي الأصل، المالكي ثم الحنفي التدريس في الأفضلية، وجمع بين إمامة الصخرة المشرفة وإمامة المالكية بعد أن تولى فتوى الحنفية في القدس مرتين؛ توفي في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م، ودفن في مقبرة ماملاّ غربي القدس.

تحوّلت الأفضلية في أواخر عهدها كما يفيد العارف إلى دار سكنٍ يسكنها فقراء من المغاربة الواردين إلى القدس، وتراجع بذلك دورها في الحركة الفكرية في القدس إلى أن أطفأت نورها جرّافات الاحتلال الإسرائيلي عندما داهمتها ومثيلاتها من المنشآت الأثرية الإسلامية في حارة المغاربة في أيام: ١١- ١٢- ١٣ حزيران، سنة ١٩٦٧م.

المبحث التاسع: تخصيص ميزانية لشراء العقارات والأراضي:

المطلب الأول: من هو صاحب الوقفية؟ (أبو الحسن علي بن عثمان):

هو أبو الحسن علي بن عثمان (ولد ١٢٩٧- تُوفي ٢٤ مايو ١٣٥١) كان سلطانا في المغرب والأندلس لمدة ٢٠ سنة (١٣٣١-١٣٥١استقال) وكان أكبر حاكم من سلالة بني مرين سنّا. خلف الحكم عن والده أبي سعيد عثمان الثاني؛ في ٥ أبريل ١٣٤٠ فاز أبو الحسن على البحرية الإسبانية بنصر عظيم في جبل طارق. وفي العام نفسه لاقى السلطان المغربي هزيمة برية ضد اتحاد قوات «الفونسو الحادي عشر» من قشتالة وقوات «الفونسو الرابع» من البرتغال في معركة الوادي المالح بإقليم قادس حاليا. بعد هذه الهزيمة، اضطر الحسن إلى إنهاء الحروب والغزوات في شبه الجزيرة الإيبيرية. إذ إنه بعد فُقدانه الجزيرة الخضراء سنة ١٣٤٣ فقد المرينيون آخر شبر في الأندلس.

في شمال إفريقيا وخلافا لما كان عليه حال المرينيين في الأندلس، قام أبو الحسن بغزوات كثيرة بعد زواج تحالفي بابنة أبي يحيى أبي بكر الحفصي، سلطان الحفصيين حيث استرجع مدينة تلمسان بعد حصار دام ٣ سنوات. بعد موت أبي سعيد غزا أبو الحسن إفريقية يوم ١٥ سبتمبر ١٣٤٧، ولكنه هُزم في معركة كبيرة خلال العام القادم على يد تحالف القبائل العربية في تونس، وأجبروه على

التخلي عن إفريقية[1]. ورغم الهزائم التي مُني بها في الغزوات إلا أنه حقق استقرارا وازدهارا اقتصاديا بسلطنته في المغرب، ومن أعماله الخالدة:

١- مدرسة ابن يوسف (مراكش).

٢- مسجد العباد بتلمسان، الذي بني فوق قبر العلامة المسلم الشيخ أبو مدين.

٣- والمدرسة المصباحية بفاس.

٤- وأوقافه على القدس الشريف.

وقد تجلى جهد هذا السلطان عبر وقفين أساسيين: الأول دعم الأوقاف الموجودة بشراء العقارات، والثاني انتساخ المصحف الشريف؛ وذلك ما نذكره في المطالب الآتية:

المطلب الثاني: تخصيص ميزانية لشراء العقارات والأراضي:

أما على المستوى الرسمي فقد قام السلطان المريني أبو الحسن علي ابن عثمان[2] سنة ٧٣٨ هـ، الموافق لـ ١٣٣٧م- ١٣٣٨م؛ بتخصيص ١٦٥٠٠ دينار ذهبي؛ لشراء الرباع (أي العقارات والأراضي) في القدس والحرمين

---

(١) تنازل الحسن عن الملك لصالح ابنه أبو عنان سنة ١٣٥١، توفي بعد ذلك بأشهر (٢٤ مايو ١٣٥١م) متأثرا بجراحه ودُفن بفاس.

(٢) وقد درج الملوك المغاربة ولاسيما بعد الدولة الموحدية التي قامت بدور من أجل حماية المقدسات، فكان على الدولة المرينية التي ورثت دولة الموحدين أن تقوم بالدور الرسالي الأكبر تجاه القضية الفلسطينية عموما والقدس على وجه الخصوص؛ فانبرى بعض ملوك بني مرين بانتساخ مصاحف على أجود طراز للقدس ومكة والمدينة.

الشريفين، وكان لها آثار طيبة على أوقاف المغاربة واستقرارها وصمودها أمام التحديات القادمة من الحملات الصليبية وكل أشكال الاحتلال.

المبحث العاشر: الربعة المغربية (المصحف المريني):

المطلب الأول: انتساخ المصحف الشريف ووقفه على بيت المقدس:

هذا، وقد انبرى السلطان أبو الحسن المريني بانتساخ مصحف شريف بيده سنة ٧٤٥هـ، وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه، ثم أرسله إلى بيت المقدس، ويتكون هذا المصحف المريني من ثلاثين جزءا ويدعى بالربعة المغربية. غير أنه كان متميزا ومتألقا في حلته القشيبة وصنعته البهية؛ وجودة إخراجه المتقن؛ بحيث إنه أولا انتسخه بيده؛ وهذا حال الملوك والأمراء قديما بحيث كانت لهم دراية ببعض العلوم والفنون؛ والقيام بالنفس لأداء هذه المهمة لها دلالة بالغة؛ فالله حين خلق الإنسان كرمه وقد كان من جملة تكريمه أن تولى خلقه بيده؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ (ص:٧٥).

ثم جمع السلطان المريني مختلف القراء المتقنين؛ لضبط تلكم النسخة وتهذيبها، وزادها إحكاما بوضعها في ظرف مصنوع من الأبنوس والعاج والصندل مغشى بصفائح الذهب ومغلفا برقاع من الحرير والديباج. وكان أفضل هدية قدمت للقدس وتحمل معاني كثيرة، منها عناية الملوك بالقرآن،

وتوليهم بأنفسهم كتابته ورسمه، ثم الاهتمام البالغ بالأرض المقدسة وأن يكون لهم أثر بها؛ وكأن لسان أحوالهم يلهج بذكره تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤).

المطلب الثاني: إعجاب الرحالة المغاربة بروعة الربعة المغربية:

هذا، وإن الرحالة المغاربة كان يستوقفهم هذا المصحف المريني، والربعة المغربية، فهذا العلامة المقري يقول في نفح الطيب حين رأى النسخة: إنه رأى المصحف ببيت المقدس، ورأى ربعته — ظرفه — وهي في غاية الصنعة[1].

وفي العصر الحديث تباهى به من عرفوه وكتبوا عن المتحف الإسلامي بالحرم الشريف من حيث تاريخُه ومحتوياتُه[2] على أنه من أروع المصاحف، التي يحتضنها المسجد الأقصى؛ وهو المكتوب على رق الغزال، وعلى كلا الوجهين زخارف هندسية وكتابية، وكل وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية. أما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز، وأن كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخارف كتابية.

---

(١) انظر: نفح الطيب للمقري بتحقيق إحسان عباس: ٤/ ٤٠٠.

(٢) انظر: بحث الأستاذ مروان أبي خلف بعنوان: «المتحف الإسلامي بالحرم الشريف: تاريخه ومحتوياته» وقدمه إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» والذي انعقد بالجامعة الأردنية، بتاريخ جمادى الثانية، ١٤٠٠هـ، الموافق لأبريل، ١٩٨٠م.

المبحث الحادي عشر: بضعة وعشرون مصحفا بخطوط جميلة:

واستمرت هذه الصلة ببيت المقدس في عهد الملوك العلويين المغاربة، فوجه مثلا السلطان المولى عبد الله العلوي بضعة وعشرين مصحفا بخطوط جميلة، كان منها ما نال ثالث الحرمين.

وكانت هذه الأوقاف المغربية إلى حدود سنة ١٩٥٤م تابعة من الناحية الإدارية والمالية لدائرة شؤون الأوقاف الفلسطينية، إلا أنها بعد هذا التاريخ أصبحت مستقلة عنها، وتولى شأنها الشيخ الحاج محمد المهدي، وكانت الجالية المغربية تعتبره بمثابة «نقيب»، ثم خلفه من بعده الحاج علي النقيب ثم السيد محمد إبراهيم عبد الحق الفكيكي وعيسى هاشم السوسي[1].

---

(١) وقد قام المتوليان الأخيران بعدة جهود في سبيل حماية وصيانة الأوقاف المغربية، كاتصالهما بالحكومة المغربية عقب حصول المغرب على الاستقلال من أجل لفت انتباهها إلى ما آلت له الأوقاف المغربية من الخراب وما تحتاجه من الصيانة، وكعملهما على استرجاع بعض العقارات المغربية التي احتسبت خطأ ضمن الأوقاف الأردنية. وللتاريخ؛ فإن المحكمة الشرعية في القدس أصدرت حكما باسم جلالة الملك حسين أنصفت فيه المتوليين للأوقاف المغربية؛ لأن المغاربة هم أصحابها الأصليون؛ بحيث إن الأمر لم يكن هينا، بل يتعلق بما ينيف على أربعين عقارا فيه الديار والمخازن والمتاجر والأراضي، سواء ما يوجد منها في محلة المغاربة أو محلة الواد، أو محلة الشرف.. إلخ.

المبحث الثاني عشر: متوضّأ حارة المغاربة:

يعد هذا المتوضأ من الآثار الدارسة، التي أُنشئت قبل العصر العثماني بزمنٍ طويل، كما تؤكد وثيقة مؤرخة في سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٨م، ويبدو أنّ تاريخ إنشاء المتوضأ يرجع إلى ما بعد العام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وهي السنة التي تم فيها إنشاء الخانقاه الفخرية[1].

المبحث الثالث عشر: مقام ومسجد الشيخ عيد:

يقع المقام والمسجد في المدرسة الأفضلية، وقد حدّد Sandreczki في سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، موضع مسجد الشيخ عيد على بعد خمسة وسبعين متراً من الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك، ويُنسب الموضع إلى أحد الأولياء الصالحين من شيوخ المغاربة في القدس يُعرف بالشيخ عيد؛ ذكره الرحّالة الشيخ عبد الغني النابلسي حين زار القدس سنة ١١٠١هـ- ١٦٨٩م، فقال: «ومررنا في الطريق على مزار الشيخ عيد، رحمه الله تعالى، فوقفنا عنده وقرأنا الفاتحة له، ودعونا الله تعالى برفع المشقّة عن المسلمين والشدّة..»، وقد تألف هذا الأثر من مسجد ومنافع ومكان للوضوء وسور هُدمت جميعها في أحد أيام: ١١- ١٢- ١٣ حزيران، سنة ١٩٦٧م.

---

(١) إلاّ أنّ تحديد تاريخ إنشائه أو موضعه بحاجة إلى دراسة مستفيضة بسبب الدمار، الذي شوّهته الجرّافات الإسرائيلية، ويستفاد من وثيقة مؤرخة في سنة ٩٣٦هـ- ١٥٢٨م أنّ المتوضأ كان يقع أسفل الزاوية الفخرية لصق دار قاضي القضاة مجير الدين عبد الرحمن العليمي الذي تضرّر من الروائح الكريهة التي كانت تنبعث من المكان فأمر أصلان بك المتكلم على عمارة المسجد الأقصى المبارك إغلاق باب المتوضأ، وقد أُعيد فتح باب المتوضأ في شهر ربيع الآخر، سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٨م.

المبحث الرابع عشر: دار مجير الدين عبد الرحمن العليمي:

تحدثت وثيقة شرعية يتيمة مؤرخة في سنة: ٩٣٦هـ/ ١٥٢٨م، عن موضع دار مؤرخ القدس والخليل القاضي «مجير الدين عبد الرحمن العليمي» بالقرب من المتوضأ الكائن أسفل الخانقاه الفخرية، لصق المسجد الأقصى المبارك، بالرغم من أنّ مؤرخ القدس والخليل، قد أقام كذلك في دارٍ أخرى كانت تقع في خط مرزبان بالقرب من الزاوية البدرية، ويبدو أنه انتقل إلى هذا المكان الثاني بعد أن تضرّر من رائحة المتوضأ الملاصقة لداره كما تفيد الوثيقة مما حفّز «أصلان بك» المتكلم على عمارة المسجد الأقصى على إغلاق باب المتوضأ.

المبحث الخامس عشر: دار القبو الروماني:

ويعرف **بوقف فاطمة بنت محمد**؛ والحكاية أن هذه الدار أوقفتها سيدة تدعى «**فاطمة بنت محمد بن علي المغربية**» المعروفة **بأم سعود** في ٢٥ ربيع الأول، سنة: ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وقد عرفت هذه الدار قبل وقفها بالقبو الروماني، دلالةً على وجود عمران يسبق العصر الأيوبي في حارة المغاربة، ثم جدّدت الواقفةُ بناءها فعُرفت بها، وكانت زاوية المغاربة المعروفة بالشيخ عمر المصمودي تحد دار أم سعود المغربية من ناحية الشمال، بينما كان يحدها من الجنوب الدرب السالك، ومن الشرق دار الواقفة، ومن الغرب الدرب السالك، وقد شرطت الواقفة أن يسكن في دارها هذه فقراء من عجائز المغاربة دون أن ينتفعوا بالقبو الروماني.

المبحث السادس عشر: وقفية الحاج قاسم الشيباني المراكشي:

أوقف «**الحاج قاسم بن محمد بن عبد الله بن علي المغربي الشيباني المراكشي**» في ١٣ محرّم سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، داراً كانت مُهدّمة تقع في حارة المغاربة على فقراء السادة المغاربة في القدس، وقد أظهرت وقفية الدار حدودها الجنوبية بالدرب السالك، ومن الشرق والشمال دار وقف المغاربة، ومن الغرب الدرب السالك، وقد أضاف الواقف على وقفه هذا ضرورة شراء الخبز لتوزيعه على فقراء المغاربة المقيمين في القدس.

وقف الحاج قاسم المغربي جميع ما هو له وجار في ملكه وطلق تصرفه وحيازته الشرعية وقفا صحيحا شرعيا لا ينمحي اسمه ولا يندرس رسمه ولا يضيع عند الله تعالى ثوابه وأجره وذلك على فقراء السادة المغاربة ابتغاء لوجه الله تعالى الكريم. وقد ورد في نص الوقفية ما يأتي:

«..أنشأ الواقف المرقوم وقفه هذا على فقراء السادة المغاربة ابتغاء لوجه الله تعالى الكريم يشتري الناظر على هذا الوقف خبزا ويوزعه على فقراء المغاربة وعليهم أن يقرؤوا الفاتحة الشريفة ويهدوا ثوابها لحضرة النبي ﷺ وعلى آله وصحبه، ثم لروح الواقف ولوالديه ولسائر المسلمين»[1].

---

(١) انظر: وقفيات المغاربة، ص ٢٨-٢٩؛ والوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٤٩٥-٤٩٦.

المبحث السابع عشر: دار وقف الحاجة مريم بنت عبد القادر المغربية:

وقفت الحاجة مريم بنت عبد القادر المغربية داراً أنشأتها في حارة المغاربة في ١٢ ذي الحجة، سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، وشرطت الواقفة تأجير الدار لشراء الخبز من إجارتها وتوزيعها على فقراء المغاربة في القدس، وقد اشتملت الدار الموقوفة على أربعة بيوت، ومطبخ، ومرتفق، وصهريجين لجمع ماء المطر، ومنافع، ومرافق، وحقوق شرعية. وقد جاء في نص الوقفية: «... ثم من بعدها على جهة بر... وإذا تعذر فعلى الفقراء أينما كانوا وحيثما وجدوا»[١].

المبحث الثامن عشر: وقف الحاجة صافية بنت عبد الله الجزائرية:

أوقفت سيدة تدعى «**صافية بنت عبد الله الجزائرية المغربية**» مبلغاً من النقود قيمتها ٣٥٠ قرشاً أسدياً في شهر رمضان، سنة: ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م؛ وذلك للاستفادة من قيمة إجارتها في كل سنة لشراء خبز يُفرّق على فقراء المغاربة في شهر محرم، وإذا تعذّر ذلك فعلى عدد من فقراء المسلمين.

---

(١) انظر: وقفيات المغاربة جمع د. أحمد العلمي (القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ص٥٣؛ عكرمة صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط١ (الأردن: دار النفائس، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م) ص٤٩٥.

ووقفت الحاجة صافية جميع ممتلكاتها وقفا صحيحا شرعيا وحبسا صحيحا مرعيا لا يمحي اسم ولا يندرس رسم ولا يضيع عند الله ثواب أجره، وكان وقفها إلى جهات البر والخير، ومن ضمن شروطها توزيع خبز على الفقراء، وورد في نص الوقفية ما يأتي: «... وتصرف أجرتها – أي الدار الموقوفة- كل سنة في ثمن خبز في شهر محرم على السادة المغاربة بالقدس الشريف، ثم من بعد المغاربة على الفقراء المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا»[1].

المبحث التاسع عشر: وقفية محمد آغا المغربي:

وقف مفخر السادات محمد بن الحاج عبد الله آغا المغربي سنة: ١١٦٦هـ، الموافق: ١٧٥٢م، جميع عقاراته الكائنة في البلدة القديمة من مدينة القدس وقفا صحيحا شرعيا وحبسا صريحا لا ينمحي اسمه ولا يندرس رسمه، بل كلما مر عليه زمان أكده، وحيثما أتى عليه دهر وأوان وطده وأخلده، وذلك على ذريته فإذا انقرضوا عاد ذلك وقفا على أبي مدين الغوث، فإذا تعذر ذلك، عاد وقفا على الفقراء والمساكين بالقدس الشريف. وقد ورد في نص الوقفية ما يأتي: «..فإذا تعذر ذلك عاد وقفا على الفقراء والمساكين بالقدس الشريف..»[2].

---

(١) انظر وقفيات المغاربة، ص ٥٣؛ والوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٤٩٥.

(٢) انظر وقفيات المغاربة، ص ٢٦؛ والوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٤٩٦.

المبحث العشرون: حاكورة الزيتون: قبل سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م:

كانت حاكورة الزيتون تقع إلى الشرق من أرض الخاتونية جنوبي المسجد الأقصى، ويحدها من الغرب الدرب السالك، وقد اكتسبت اسمها لانتشار أشجار الزيتون المزروعة في أرض الحاكورة، ويبدو من خلال وصفها أنّها اشتملت على أشجار مختلفة غير شجر الزيتون، وقد وصفتها حجتان شرعيتان في أواخر شهر محرم، سنة: ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م، وفي ١١ محرم، سنة: ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، أنّها تشتمل على «أشجار وغراس وكردار»، وأنّ ثلاثة أرباع حصّتها جارية في وقف أبي مدين الغوث الحفيد.

المبحث الواحد والعشرون: حاكورة الجورة: قبل سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م:

تحدثت حجتان شرعيتان في أواخر شهر محرم، سنة: ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، وفي ١١، محرم، سنة: ١٢١٢هـ/١٧٩٧م، عن وجودها في حارة المغاربة، وقد كان يحدها من الجنوب حاكورة مصطفى بن السعدية، ومن الشرق الدرب السالك، ومن الشمال حاكورة ابن بركات، ومن الغرب حاكورة وقف النجاصي.

المبحث الثاني والعشرون: دار الرمانة قبل سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م:

كانت دار الرمّانة تقع في خط الشيخ عيد بداخل حوش الشيخ عيد، ويعود تاريخ هذه الدار إلى ما قبل العام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، وكان يحدها من الشمال الدرب السالك، في حين جاورها آنذاك عددٌ من المباني نذكر منها دار الحاج محمد الزميزي، ودار محمد الحلاّق بن الحاج إبراهيم المغربي، وقد عُرفت باسمها هذا لوجود شجرة رمّان كبيرة، كانت تظلل ساحة الدار، حيث اعتاد سكّان القدس خلال العهد العثماني على تسمية مباني مختلفة في القدس بأسماء أشجار كبيرة زُرعت في ساحاتها.

المبحث الثالث والعشرون: طاحونة وقف المغاربة قبل سنة: ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م:

وجد في حارة المغاربة عدد من الطواحين القديمة، وقد تحدثت حجة شرعية في ١٨، ربيع الثاني، سنة: ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م، عن وجود قبو طاحون قديم، وصفته بأنّ «أخشاب الطاحون المذكورة من تقادم الزمان دثرت وفنيت وتعطل الانتفاع بها»[1].

(١) مما استوجب ترميمها، وقد توجه لذلك جماعةٌ من أهل القدس للكشف على الطاحونة كان من بينهم أحمد بن محمد شيخ السادة المغاربة في القدس، والحاج شرف الدين شيخ الطحانين في القدس، والحاج يحيى بن شخاتير؛ قدّرت الجماعة التي كشفت على حالة الطاحونة احتياجها من المال اللازم للترميم بأربعين غرشاً أسدياً، وقد تم ترميم الطاحونة بعد استبدال آلات الطحن القديمة بأخرى جديدة.

المبحث الرابع والعشرون: دار وقف كمال الحلواني قبل سنة: ١١٧٣هـ/١٧٥٩م:

أوقف الحاج كمال الحلواني هذه الدار قبل سنة: ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، ويستفاد من حجة شرعية مؤرخة في تاسع، شهر ربيع الأول، سنة: ١١٨٩هـ/١٧٧٥م، أنها تقع بالقرب من إسطبل وقف المغاربة، ودار وقف القاضي شرف الدين الخالدي.

المبحث الخامس والعشرون: حاكورة وقف المغاربة كانت موجودة سنة: ١١٩٨هـ/١٧٨٣م:

عُرفت بحاكورة الحاج إسماعيل بن محمد الغاني المغربي قبل أن يبيعها في ٢٢، ربيع الأول، سنة: ١١٩٨هـ/١٧٨٣م، إلى الشيخ عبد الله المغربي، شيخ المغاربة في القدس، وتألفت أرض الحاكورة من «غراس صبر والكردار والجدران..»، بينما كان يحدها من الجنوب جورة ابن الصغيّر، ومن الشرق الدرب السالك، ومن الشمال دور وقف المغاربة، ومن الغرب حاكورة الصغيّر.

المبحث السادس والعشرون: دار الشيخ صنع الله الخالدي:

كان للشيخ صنع الله الخالدي دارٌ تقع في حارة المغاربة إلى الشمال من دار النحشي الفوقانية، ودار وقف المغاربة، وقد أوردت حجة شرعية مؤرخة في سادس، شهر محرم، سنة: ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، في سياق النص عبارة تفيد بوجود هذه الدار المعروفة بالشيخ صنع الله الخالدي.

المبحث السابع والعشرون: حاكورة اللوند قبل سنة: ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م:

ذكرت هذه الحاكورة الجارية في وقف السادة المغاربة في حجة شرعية مؤرخة في أوائل شهر ربيع الأول، سنة: ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وكان يحد الحاكورة من الجنوب حاكورة النحاصي، ومن الشرق حاكورة ابن الغاني، ومن الشمال دار الغزوية، ومن الغرب دار الجاعوني.

المبحث الثامن والعشرون: حاكورة ابن غزال: ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م:

كانت هذه الحاكورة تقع في حارة المغاربة، وقد حدّها من الجنوب حاكورة ابن رقية المخصصة للخبز، وشرقاً الدرب السالك، وشمالاً حاكورة ابن السعدية، وغرباً حاكورة النحاصي المخصصة للخبز.

المبحث التاسع والعشرون: الحاكورة الغربية: ١١٢٣هـ/١٧١١م:

كانت هذه الحاكورة الجارية في وقف السادة المغاربة في القدس تقع في الجانب الغربي من حارة المغاربة بالقرب من حاكورة الحاج محمد الجزائري، وقد ذُكرت هذه الحاكورة في حجة شرعية مؤرخة في أواسط شهر صفر، سنة: ١١٢٣هـ/١٧١١م.

المبحث الثلاثون: حاكورة وقف أبي مدين: لِصق المدرسة التنكزية ٨٢٨هـ/١٤٢٤م:

تقع هذه الحاكورة المنسوبة لوقف أبي مدين الغوث الحفيد لصق المدرسة التنكزية (المحكمة الشرعية) من جهة الجنوب، ويحدها من الشرق حائط البراق الشريف، وقد أُوقفت هذه الحاكورة على مصالح أبي مدين الغوث الحفيد في سنة: ٨٢٨هـ/١٤٢٤م، وقد بقيت على حالها عدة مئات من السنين، وورد ذكرها في أوائل شهر صفر سنة: ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، حين كان الحاج محمد البهلولي المغربي متولياً على وقف أبي مدين الغوث الحفيد في مدينة القدس.

المبحث الواحد والثلاثون: حاكورة وقف المغاربة لِصق مقام الشيخ عيد:

تعود أقدم حجة شرعية لهذه الحاكورة في أوائل شهر ربيع الأول، سنة: ١١٣٦هـ/١٧٢٣م.

الفصل الثامن
الكيان الصهيوني أكبر تحد للأوقاف الإسلامية

تمهيد:

إن محنة الأوقاف الإسلامية بدأت حقيقة مع وجود الكيان الصهيوني، فصار أكبر تحد أمام الأوقاف الإسلامية عامة وأوقاف المغاربة خاصة؛ بحيث إنه لم يتوان الاحتلال يوما عن التهارش والتكالب على كل طرف أو قطعة من سجلات الأوقاف الإسلامية بله القرى والحارات الكبيرة، التي سال لعابه شلالا عليها بالتحايل مرة وبالقوة والقمع مرات عديدة، هذا ما نرصده في هذا الفصل وعبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: الكيان الصهيوني وتحايله على الأوقاف الإسلامية:

تشكل الأوقاف في فلسطين نحو مليون و ٦٨٠ ألف دونم (٦.٢٥ % من مساحة فلسطين)، ويوجد في فلسطين ٣٤٠ قرية تعتبر وقفاً كلياً أو جزئياً

مثل بورين وبيت فوريك وشطا، وسعسع. ولما أعطى الاحتلال لنفسه الصلاحية للاستحواذ على الأوقاف الإسلامية بفلسطين بذرائع واهية ومتنوعة، وفي ظل الانتداب البريطاني تمت مصادرة أكثر من ١٠٠ ألف دونم من الأوقاف بذريعة بطلان الحجج الوقفية.

هذا ما جعل الصهاينة يتكتمون على أملاك الغائبين ووثائق الأوقاف، ولم يسمحوا لأي لجنة دولية من تقصي الحقائق والتدقيق في الممتلكات وحصرها لأهلها الشرعيين؛ كل ذلك سار ضمن خطة صهيونية ممنهجة لابتلاع الأوقاف الإسلامية.

المبحث الثاني: قرار المجلس الأعلى عام ١٩٣٥م:

وهذا ما جعل المجلس الإسلامي الأعلى في عام ١٩٣٥م يصدر قرارا يدعو أهالي فلسطين بتسجيل أراضيهم على أنها أوقاف حتى لا يبتلعها الغول الإسرائيلي، ولا تصادرها المؤسسات الصهيونية؛ لأن الأصل في الأوقاف أنها لا تباع ولا تشترى ولا توهب. ولكن العدو الصهيوني لم يأل جهدا، ولم يدخر وسعا في الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية بمختلف الوسائل المتاحة، ولم يرع في أوقافنا إلاً ولا ذمة.

المبحث الثالث: التحدي الأكبر للأوقاف في وجود الكيان الصهيوني:

إن التحدي الأكبر يكمن في الكيان الصهيوني عبر تآمره اليومي؛ لاستهداف الأوقاف الإسلامية عامة والمغربية خاصة، والقيام بوحشية وهمجية على هدم آثارها وطمس معالمها؛ لأنها شوكة في حلق القوم تظل شاهدة على الوجود الإسلامي الراسخ والتعاون البناء في ظل الخلافة الإسلامية بين المشرق والمغرب، وأن الأمة الإسلامية وإن نامت دهرا، لكنها لم تمت، فقد تعود لشهودها الحضاري في يوم من الأيام وتعيد الكرة على هذه البلاد، ومن بوابتها أوقافنا المغربية.

وعلى الرغم من ذلك؛ فإن الأوقاف الفلسطينية عامة والمغربية خاصة قد تعرضت لإحن ومحن وتحديات نتعرض لها وفق الآتي:

- في أراضي ١٩٤٨م، استولى اليهود على معظم الأوقاف؛ بحجة أنها أملاك غائبين!

- مصادرة معظم المسجد الإبراهيمي.

- استولى اليهود على حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى).

- بنى اليهود على مقبرة (مأمن الله) في القدس فندق بلازا الفخم، وفتحت بها شوارع وحُوّل القسم المتبقي منها إلى حدائق عامة.

- في عام ١٨٨٧م، خطط البارون روتشيلد لشراء حي باب المغاربة بأكمله.

- عشية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، حاولت شركة تطوير الأراضي الفلسطينية شراء المنطقة المحيطة بحائط المبكى.

- بعد وعد بلفور عام ١٩١٧م، أكدت المؤسسات اليهودية في فلسطين على أن حائط المبكى هو مكان مقدس جداً للشعب اليهودي.

- في أعقاب الانتفاضة والاحتجاجات، التي وقعت عام ١٩٢٩م، شكلت سلطات الانتداب البريطاني لجنة تحقيق لتقصي ملابسات الأحداث وتوصلت — عن قصد وعمد- إلى استنتاج أنه لا يوجد هناك أي أساس ديني أو تاريخي يثبت هذا الادعاء، وأن القصة حول البراق، اخترعها المفتي لإلهاب مشاعر المسلمين ضد اليهود[1].

---

(١) وهذا العام ١٩٢٩م، اندلع ما سمي بـ«ثورة البراق»، والتي سقط فيها عدد من القتلى والجرحى من الفلسطينيين واليهود، وتشكلت على إثر ذلك لجنة بريطانية دعيت لجنة شو للتحقيق في حوادث البراق، وانبثقت عن هذه اللجنة بقرار منها، لجنة دولية أسندت إليها مهمة تقرير الحقائق والمطالب المتعلقة بحائط البراق، وقد شهد أمام اللجنة الدولية هذه، فلسطينيون ولبنانيون وعراقيون ومصريون وسوريون. انتهت اللجنة من وضع تقريرها في مطلع ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٠م، وخلصت فيه إلى استنتاجات حازت موافقة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم معا، وأصبح التقرير بذلك وثيقة دولية هامة تثبت حق الشعب الفلسطيني في حائط البراق، وأهم هذه الاستنتاجات ما ورد في الفقرة الأولى من التقرير، وهي تقول «تعود ملكية الحائط الغربي إلى المسلمين وحدهم، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لأنه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف. وتعود إليهم أيضا ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، لكون الرصيف موقوفا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير».

- خلال نكسة عام ١٩٦٧م، سقط الجزء الشرقي من مدينة القدس والذي كان تحت الإدارة الأردنية، في قبضة الجيش الإسرائيلي. بعد وقت قليل من دخول الجيش المنتصر إلى المدينة، لفت ضابطٌ يُدعى «أبراهام شتيرن»، انتباه «موشي ديان» إلى وجود مراحيض ملتصقة بحائط البراق، فأعطاه إذناً بهدمها. ولأن قيادة العدو كانت تستعد لاستقبال مئات الآلاف من اليهود في عيد نزول التوراة عند ذلك الحائط، ولأن المكان الضيق بينه وبين بيوت الحي المجاور لم يكن يتَّسع إلاَّ لِبضع مئات؛ فقد تقرر في العاشر من يونيو هدم الحي بأكمله. خلال بضعة أيام، أُزيح تماماً حَيٌّ أطلق عليه المقدسيُّون اسم «حارة المغاربة» لِمُدة ٧٧٤ عاماً[١].

- في شهر يونيو ١٩٦٧م، صَادَرَ الكيان الصهيوني حي المغاربة، وفي اليوم العاشر من نفس الشهر قامت قوات الاحتلال بإخلاء سكانه لتُسويه بالأرض ولتقيم مكانه ساحة عموميةً تكون قبالة حائط البراق. خلال بضعة أيام، أتت جرافات العدو على ١٣٨ بناية كما هدمت جامع البراق وجامع المغاربة. وما لبث أن لحق نفس المصير بالمدرسة الأفضلية وزاوية أبي مدين والزاوية الفخرية ومقام الشيخ.

---

(١) انظر محمد الخطيب الكسواني وعمران الرشق «القدس .. تاريخ من الألم النبيل»، مجلة العربي، عدد: ٥١٨، يناير، ٢٠٠٢م.

هــكذا، وفي أيــام معدودة، كلمــح البصر، زالت من خارطــة القدس - بين عشيــة وضحــاها - ثمانيةُ قرون من تعــلق المغــاربة بتــلكم الديار، وآهٍ لها من ديار! والعجيــب العجــاب أن يــكون ذلك عن عنجهية صماء من قبل العــدو الصهيــوني الهمجي، وأمام سمع العالم العربي والإسلامي وبصره، ولا مجيب لنداء القدس والأرض المباركة، التي تستغيث!؟ وحتى هذا اليوم، مرت قرابة ما يربو على نصف قرن من وقوع تلك النكبة، والخشية كُلُّ الخشية من أن تزول معها - لاقدر الله- تلك القرونُ وذلك التعلقُ من الوجدان والذاكرة!

الفصل التاسع
بيع الأراضي الفلسطينية أو التعويض عنها

تمهيد:

لا شك أن المتاجرة في أرض فلسطين مع العدو الصهيوني هو في حقيقة الأمر متاجرة بالقضية الفلسطينية، وعبث بالأوقاف الإسلامية؛ لأن فلسطين كلها أرض وقفية على المسلمين، لا يجوز بأي حال من الأحوال السمسرة في عقاراتها، ولا التفريط في شبر من تربتها المباركة، ولا قبول مهما كانت الإغراءات التعويض عنها وعن العودة إلى فلسطين؛ وبهذا أجمعت فتاوى علماء فلسطين وغيرهم؛ وهذا ما نبينه عبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: اعتبروا يا أولي الأبصار:

إن على المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة الاعتبار مما فعله الصهاينة في مخططاتهم المستهدفة للوجود الإسلامي بفلسطين؛ حتى صرح وزير الدفاع الصهيوني الأسبق «موشيه ديان» على «أنه لم تقم مدينة أو قرية صهيونية في فلسطين إلا في موضع سابق للسكان الأصليين أي المسلمين»[1].

---

(١) انظر موقع النكبة، في: www.alnakba.org

المبحث الثاني: فتاوى علماء المسلمين الصادرة سنة ١٩٣٥م بشأن بيع الأراضي لليهود:

كان العرب عام ١٩١٧م، يشكلون ٩٢% من سكان فلسطين، وكان عدد اليهود آنذاك ٧٥.٠٠٠ يهودي فقط، أما ملكية اليهود في فلسطين فلم تكن تزيد عن ٢.٥% وفي عام ١٩٤٧م، لم تزد ملكيتهم عن ٥% من أراضي فلسطين. وكان اليهود بمثابة عصابات تعيش على أرض فلسطين وتحاول التوسع عن طريق شراء الأراضي والمنازل من أهلها العرب ليقيموا عليها دولتهم، التي كانوا يحلمون بها، مما دفع علماء فلسطين وقضاتها وخطباءها ووعاظها إلى عقد اجتماع كبير بالمسجد الأقصى ببيت المقدس، وذلك في ١٩٣٥/١/٢٦م، وأصدروا فتواهم في حكم بيع الأراضي لليهود، وهذا نصها:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإننا نحن المفتين والقضاة والمدرسين والخطباء والأئمة والوعاظ وسائر علماء المسلمين ورجال الدين في فلسطين، المجتمعين اليوم في الاجتماع الديني المنعقد في بيت المقدس بالمسجد الأقصى المبارك حوله بعد البحث، والنظر فيما ينشأ عن بيع الأراضي في فلسطين لليهود من تحقيق المقاصد الصهيونية في تهويد هذه البلاد الإسلامية والمقدسة، وإخراجها من أيدي أهلها، وإجلائهم عنها، وتعفية أثر الإسلام منها بخراب المساجد والمعابد

والمقدسات الإسلامية، كما وقع في القرى، التي تم بيعها لليهود وأخرجوا أهلها مشردين في الأرض، وكما يخشى أن يقع- لا سمح الله- في أولى القبلتين وثالث المسجدين، المسجد الأقصى المبارك. وبعد النظر في الفتاوى، التي أصدرها المفتون وعلماء المسلمين في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا وفلسطين والأقطار الإسلامية الأخرى والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع والتوسط فيه وتسهيل أمره بأي شكل وصورة، وتحريم الرضا بذلك كله والسكوت عنه، وأن ذلك كله أصبح بالنسبة لكل فلسطيني صادرا من عالم بنتيجته راض بها؛ لذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله كما جاء في فتوى سماحة السيد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

بعد النظر والبحث في ذلك كله وتأييد ما جاء في تلك الفتاوى الشريفة والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في بيع الأراضي بفلسطين لليهود والمسهل له هو:

أولا: عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم.

ثانيًا: مانع لمساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وساعٍ في خرابها.

ثالثًا: متخذ اليهود أولياء؛ لأن عمله يعد مساعدة ونصرًا لهم على المسلمين.

رابعًا: مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين.

خامسا: خائن لله ولرسوله وللأمانة.

وبالرجوع إلى الأدلة المبينة للأحكام في مثل هذه الحالات من آيات كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (الأنفال:٢٧-٢٨)،

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ (الأحزاب:٥٨)،

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (البقرة:١١٤)،

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨-٩)،

وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة:١)، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (المائدة:٥١)، وقد ذكر الأئمة المفسرون: أن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ أي من جملتهم وحكمه حكمهم.

فيُعلم من جميع ما قدمناه من الأسباب والنتائج والأقوال والأحكام والفتاوى أن بائع الأرض لليهود في فلسطين، سواء كان ذلك

مباشـرة أو بالواسـطة، وأن السمسـار والمتوسـط في هـذا البيـع والمسـهل لـه والمساعد عليه بأي شكل مع علمـه بالنتائـج المـذكورة؛ كل أولئك ينبغي أن لا يصـلى عليهم ولا يـدفنون في مقـابر المسلمين، ويجـب نبـذهم ومقـاطعتهم واحتقـار شأنهـم وعـدم التودد إليهم والتقرب منهم، ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخوانا أو أزواجا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٣-٢٤).

هذا، وإن السكوت عن أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال:٢٤-٢٥). جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإنه مولانا وهو نعم المولى ونعم النصير.

تحريرا في ٢٠ شوال، سنة ١٥٣٥هـ/٢٦، كانون ثاني، ١٩٣٥م

المبحث الثالث: فتوى الحاج أمين الحسيني في بيع الأراضي:

انتخب مفتيا عاما للقدس عقب وفاة أخيه كامل الحسيني المفتي السابق، وأصدر فتوى اعتبرت من يبيعون أرضهم لليهود والسماسرة، الذين يسهلون هذه العملية خارجين عن الدين الإسلامي ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين.

ونشط الحاج أمين في شراء الأراضي المهددة بالانتقال إلى أيدي اليهود وضمها إلى الأوقاف الإسلامية.

قال بصريح اللفظ والعبارة الواضحة: «إن الأراضي، التي تباع في هذا البلد، تضم رفات آبائكم وأجدادكم والشهداء وصحابة النبي ﷺ والمجاهدين الأولين، إن وقاحة المجرمين، الذين يبيعونها أو يسمسرون لبيعها هي جريمة عظمى، ولن يغفر الله ولا البلاد لهم»[1].

المبحث الرابع: فتوى الشيخ عكرمة صبري:

إن الشيخ عكرمة سعيد صبري، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، فقد أصدر فتوى في ٢٢، يوليو، (تموز)، عام ٢٠٠٠م، قال فيها: إن التعويض عن الأرض الفلسطينية كبيعها سواء بسواء، ولا يجوز مطلقا شرعا، وتنطبق على الذي يأخذ التعويض عن ممتلكاته الفتوى الصادرة عن علماء فلسطين في

---

(١) انظر: مايكل دمبر، سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ط٢ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢م) ص٥٦.

الثلاثينيات من هذا القرن والتي تنص على التحريم القطعي؛ لأن الأرض الفلسطينية ليست سلعة للبيع والشراء فهي وقفية مباركة مقدسة، كما أن كافة علماء الأمة أصدروا فتاوى تؤيد هذه الفتوى. وأضاف أن عبارة (حق العودة والتعويض معا) جائزة شرعا، أي أن اللاجئ له الحق في العودة إلى دياره، كما أن له الحق أيضا في المطالبة بالتعويض عن الأضرار والمعاناة والخسائر، التي لحقت به وبأولاده وأحفاده، مؤكدا عدم جواز عبارة (حق العودة أو التعويض) شرعا؛ لأن المحظور قائم فيها؛ لأن التعويض عن الأرض محرم شرعا.

كما أوضح أن من لا يرغب بالعودة لا يحق له أخذ التعويض مطلقا مهما كانت الأسباب والمبررات، مؤكدا أن أرض فلسطين ستبقى لأهلها ولجميع المسلمين إلى ما شاء الله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الخامس: فتوى الشيخ محمد سليمان القادري الجشتي[1]:

صدرت عن رئيس جمعية العلماء المركزية في الهند بكانفور الشيخ «محمد سليمان القادري الجشتي» فتوى قال فيها: إن المسلمين الذين يبيعون أراضي فلسطين المقدسة لليهود، أو يتوسطون لهذا الفعل القبيح مع أنهم يعلمون أن

---

(١) صدرت عن رئيس جمعية العلماء المركزية في الهند بكانفور الشيخ محمد سليمان القادري الجشتي فتوى ونشرت في جريدة الجامعة العربية الصادرة بفلسطين في ١١، فبراير (شباط)، عام ١٩٣٥م، عدد: (١٥٤١).

اليهود لا يشترونها إلا لإجلاء المسلمين عن تلك الأرض المقدسة وتبديل الهيكل مكان المسجد الأقصى وتشكيل دولة يهودية، فإنهم عند الله ممن حاربوا الإسلام وسالموا الكفر وظاهروا أعداء الإسلام: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٦).

المبحث السادس: فتاوى علماء المسلمين عن فلسطين:

الحمد لله، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصلاة والسلام على من أسري به إلى **الأرض** المبارك فيها للعالمين، قبلة المسلمين الأولى و**أرض** الأنبياء ومهبط الرسالات، و**أرض** الجهاد والرباط إلى يوم الدين، وعلى آله الأخيار وصحبه، الذين عطروا بدمائهم الزكية تلك **الأرض** الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام، ورفعوا فيها رايته خفاقة عالية، وطردوا منها أعداءه، الذين دنسوا قدسه بالشرك والكفر وعلى الذين ورثوا هذه **الديار** فحافظوا على ميراث المسلمين ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم، وبعد:

فإن مهمّة علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل وادلهمّت عليهم الخطوب.

ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اغتصبوا **فلسطين**، واعتدوا على

حرمات المسلمين فيها وشردّوا أهلها، ودنسوا مقدساتها، ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم ويتسلطوا عليهم في كل مكان.

ونحن نعلم بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير **فلسطين**، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من **أرض فلسطين**. وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على **أرض فلسطين** أو تتنازل لهم عن أي جزء منها أو تعترف لهم بأي حق فيها.

إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة، التي وكل إلى المسلمين المحافظة عليها، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧)، وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟!

إننا نوقن بأن **فلسطين أرض** إسلامية ستبقى إسلامية، وسيحررها أبطال الإسلام من دنس اليهود كما حررها الفاتح صلاح الدين من دنس الصليبيين، ولتعلمن نبأه بعد حين، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

---

(١) **أسماء العلماء الموقعون:** د. عمر سليمان الأشقر، د. يوسف القرضاوي، نادر النورين، د. محمد عثمان شبير، إبراهيم زيد الكيلاني، د. خالد المذكور، د. محمد نعيم، د. عجيل جاسم النشمي، د. مصطفى محمد عرجاوي، د. أحمد حسن فرحات، د. وهبة الزحيلي، طه سيد عبد الله محمد الحميلي، د. توفيق القراعي، د. نزيه حماد. د. طه جابر العلواني، جاسم المهلهل، د. علي السالوس، د. عيسى زكي شقرة، عبد الرحمن بن عبد الخالق، د.محمد الشريف، الشيخ عبد الله المعتوق، أحمد بن محمد الخليلي، د. همام عبد الرحيم

الحكم الشرعي في قبول التعويض:

قبول التعويض من اليهود أو سماسرتهم عن جزء من أرض فلسطين حرام، وكذلك التنازل عن حق العودة إلى الوطن، وهما من أعظم الكبائر والآثام.. وقد أفتى بذلك علماء الأمة.

فأرض فلسطين أرض خراجية وقفية مقدسة مباركة بإجماع الصحابة منذ الفتح العمري، وقبول التعويض والتنازل عنها لغير المسلمين من أعداء الإسلام باطل شرعًا، ومن أعظم المنكرات والآثام، ذلك أن الذي يقبل التعويض عن أرضها وعقاره في فلسطين لليهود يكون مشاركًا في التنازل عن إسلامية أرض فلسطين لتصبح يهودية، ومساعدًا على هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه، ويكون مواليًا لليهود ناصرًا لهم في تحقيق أهدافهم التوراتية بتهويد أرض الإسلام وفلسطين، وهدم المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث المسجدين، الذي تشد إليه الرحال، خائنًا لوطنه ومقدساته، بائعًا لدماء

سعيد، د. عصام البشير، محمد زكي الدين محمد قاسم، د. عبد الله إبراهيم، محمد عطا السيد سيد أحمد، محمد عبد الرحمن، د. فتحي يكن، د. حسن محمد سليم، حكمت يار، حسين أحمد القاضي، أحمد محمد العسال، مصطفى مشهور، نجم الدين الرياقان، قاضي حسين أحمد حريز، وحيد الدين خان، برهان الدين رباني، أحمد شاه، عبد ربه الرسول سياف، محمد الغزالي، عبد السلام الهرس، صادق عبد الرحمن الماجد، محمد أمين بهراج، د. الأمين محمد، راشد الخريجي، الشيخ فيصل مولوي، الشيخ حافظ سلامة، أوغوز فان أصيل ترك، الشيخ أحمد قطان، محمد أحمد الراشد، د. عبد الله عزام، د. عبد الستار عثمان سعيد، محفوظ النحناح، محرم عارفي، عبد الحق الفلاحي، نور محمد عبد الجبار، عبد الحليم وصفي أحمد، الشيخ أبو الليث الندوي، مفتي شمس الدين، الشيخ عبد الرحمن باه، وزير الشئون الدينية سابقًا في غينيا كوناكري.

المجاهدين والعلماء والشهداء، الذين ضحوا بأرواحهم وأموالهم ودمائهم لتحرير فلسطين منذ عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى يومنا هذا.

وهذا كله من أعظم الكبائر والآثام وموالاة لأعداء الله، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة:٥١).

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الممتحنة:٩).

وقد سبق أن أفتت لجنة كبار العلماء في الأزهر الشريف بهذا، وقالوا في فتواهم: «ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها أمدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة وبالسلاح والقوة»، ومن المعلوم أن التنازل للعدو عن الأرض، التي نملكها في فلسطين هو من أعظم ما يقوي جانب العدو ويعطيه الشرعية لاغتصابه وعدوانه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة، التي تظهر بموالاة الأعداء، فقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ (المائدة:٥٢)، أي يهرولون فيما يدعوهم إليه أعداؤهم من تطبيع أو بيع أرض؛ ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ (المائدة:٥٢).

ويحرم شرعًا على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية من تنفيذ تلك المشروعات، التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاءها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره وتفسد في البلاد أشد فساد.

ومن المعلوم شرعًا أن أرض فلسطين أمانة في عنق كل مسلم، وصاحب الأرض أمين على أرضه بحفظها إسلامية، ومن تنازل عنها ليهود خان الأمانة وخان الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:٢٧).

قال سماحة الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس السابق ورئيس الهيئة الإسلامية العليا: «إن من يبيع أرضًا أو دارًا أو عقارًا لليهود أو يسمسر على ذلك أو يؤجرهم ذلك أو يمكنهم وضع أيديهم على عقار بأي شكل من الأشكال، كافرٌ ومرتد عن الإسلام، يفسخ عقد الزواج بينه وبين زوجته؛ لردته بمجرد مباشرته لذلك العمل».

وقال سماحة الشيخ عبد الله القلقيلي، رحمه الله، مفتي المملكة الأردنية الهاشمية سابقًا: «إن كل من يبيع الأرض، التي من بيت المقدس وما حولها - أي من فلسطين- للأجانب أو يكون سمسارًا أو وسيطًا في ذلك إنما هو: محارب لله ورسوله وخائن لدينه ووطنه، وأن مأواه النار وبئس القرار، وأنه متلطخ بالإثم والخسة والعار، وأنه مهما كثر ماله من ذلك فلن يكون له إلا الازدراء والاحتقار، ولعذاب الآخرة أخزى.

وقد أفتى الشيخ محمد رشيد رضا، رحمه الله، بأن من يبيع شبرًا من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنجليز كمن يبيعهم المسجد الأقصى وكمن يبيع الوطن كله- فهي تعد شرعًا من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام.

إن التنازل عن أرض فلسطين أو أي جزء منها محاربة لله ولرسوله، واتباع لغير سبيل المؤمنين، الذين حرروها وحفظوا إسلاميتها وبذلوا في سبيل ذلك أرواحهم ودماءهم منذ الفتح العمري بعد معركة حطين إلى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء:١١٥).

إن التنازل عن أرض فلسطين وقبول التعويض عن ذلك، هو تنازل عن حق العودة إليها والواجب الشرعي في تحريرها، وكذلك هو تنازل عن حق المسلمين جميعًا فيها، وهذا من أعظم المحرمات والمنكرات، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد:٣٥).

قال ابن قدامة المقدسي: «إذا غزا ديار الإسلام الأعداء فأخذوا شبرًا واحدًا فقد وجب الجهاد بالنفس والمال على كل مسلم ومسلمة، ويخرج الولد بغير إذن والديه والمرأة بغير إذن زوجها».

إن المحافظة على إسلامية فلسطين وقدسيتها من حقوق الله تعالى، وقد اختارها الله لتكون مسرى نبيه ﷺ ومنطلق معراجه، وهي امتداد لساحات المسجد الأقصى، وأجمع المسلمون منذ عهد عمر ﷺ على وقفيتها وقدسيتها، وسماها الله في القرآن الكريم الأرض المقدسة، والأرض التي بارك الله فيها وحولها، فلا يجوز لأحد أن يبيع أرضه لليهود وأعداء الإسلام؛ لأنه بهذا يبيع حق الله المتعلق بإسلامية هذه الأرض، وإعلاء كلمة الله فيها، فكل ما يتعلق بالدين أو العرض هو حق لله تعالى والذي يتنازل عن أرضه في فلسطين كمن يتنازل عن عرضه وشرفه، فهذه الأرض المباركة شرف الإسلام وعرضه لا يفرط في جزء منها مسلم يَغار على دينه وشرفه وعرضه ومقدساته.

إن القبول بالتعويض عن أرض فلسطين من اليهود سيؤدي إلى تهويد فلسطين والتفريط بحق المسلمين في العودة إليها وشد الرحال إلى مسجدها الأقصى، ومعناه بيع الأراضي الوقفية، التي يحرم بيعها، وزوال السيادة الإسلامية عنها وانتقال السيادة اليهودية عليها، وذلك ما يعرض من باع وتنازل وقبل التعويض لغضب الله عز وجل وعذابه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢٧).

الفصل العاشر

الحفريات الصهيونية

وأثرها على أوقاف المغاربة

تمهيد:

إن الحفريات كانت أكبر بلاء على القضية الفلسطينية والقدس الشريف، وعليه، فقد امتد سلطانها المارد وألقت بظلالها القاتمة على الأوقاف الإسلامية عامة وأوقاف المغاربة خاصة. ولم يشعر بخطورة ذلك إلا الصادقون الغيورون، وتأخر خيار المواجهة، وكل استبطاء على مر الزمان كان لصالح الكيان الإسرائيلي، الذي يعمل بالليل والنهار وبتخطيط محكم للوصول إلى أهدافه الكبرى في زمن ما فتىء المسلمون يغطون في سبات عميق وبأسهم بينهم شديد واهتموا بأمور تافهة شغلتهم عن القضايا الأساسية في الصراع الإسلامي الإسرائيلي؛ وهذا ما نتناوله عبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: متى بدأت الحفريات بالقدس الشريف؟

لقد وهم كثير من الكتاب، الذين انساقوا مع الرواية، التي تنص على أن الحفريات الصهيونية بدأت عقب احتلال مدينة القدس الشرقية في عدوان حزيران عام ١٩٦٧م. ولقد أكد بعض الدارسين أن في عام

١٣٠١هـ/١٨٩٤م قام عالم الآثار اليهودي «مودسلي» بالحفر في سور القدس الجنوبي، وخلفه عام ١٣١٣هـ/١٨٩٤م، «ف. ب. بليتز»، وكان هدف هذه البعثة الاهتداء إلى امتداد هذا السور، وأدرك العرب أن أعمال الحفر هذه ستؤدي بالمدينة المقدسة فأوقفوها»[١]. وقد استؤنفت عام ١٩٠٩م حتى عام ١٩١١م من قبل البريطاني «مونتا حو بارك» مع بعض معاونيه حتى هب لهم حراس المسجد الأقصى واستصرخ أهل القدس فهرب المعتدون وهم يجرون أذيال الخزي والخيبة والعار[٢].

المبحث الثاني: مراحل الحفريات من احتلال القدس الشرقية إلى اليوم:

المرحلة الأولى: أواخر عام ١٩٦٧م- ١٩٦٨م: تمت على امتداد ٧٠ مترا، ووصل عمقها إلى ١٤ مترا، وكانت أسفل الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى.

---

(١) انظر: طه أحمد ماريني، حوادث من تاريخ القدس، ط١ (دمشق: دار المشرق؛ دار النشر، ٢٠٠٣م) ص١١٩.

(٢) انظر آثار فلسطين والعراق تحت الاحتلال ليوسف فرج الله أحمد، مجلة الفيصل، عدد (٣٣٧)، رجب، ١٤٢٥هـ، أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ٣٧-٣٨. وقد جرى ذلك بالتنسيق مع الحاكم العثماني الذي رشوه بمبلغ كبير فمكنهم بفرمان عثماني يسمح لهم بالتنقيب في القدس، ودامت العملية من ١٩٠٩م إلى أبريل/ نيسان، ١٩١١م، كل ذلك داخل الصخرة. وقد شعر بهم أحد حراس المسجد الأقصى فلم يقصر؛ بل استصرخ أهل القدس وفزع الناس من نومهم وتجمعوا وكانوا بالمرصاد لولا أن الحاكم العثماني عزمي باشا وفر لهم منفذا لهروبهم!

المرحلة الثانية: عام ١٩٦٩م: تمت على امتداد ٨٠ مترا، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولى، واتجهت شمالا حتى وصلت إلى باب المغاربة، وعثر خلال هذه المرحلة على أربعة عشر أثرا إسلاميا.

المرحلة الثالثة: عام ١٩٧٠م- ١٩٧٢م: بدأت أعمال الحفر أسفل مبنى المحكمة الشرعية «المدرسة التنكزية»، وسارت تحت خمسة أبواب هي: السلسلة، والمطهرة، والقطانين، والحديد، وعلاء الدين البصيري، وامتدت الحفريات لمسافة ١٨٠ مترا، ويراوح عمقها بين ١٠ و١٤ مترا، وتم بناء كنيس يهودي أسفل مبنى المحكمة الشرعية.

المرحلة الرابعة: عام ١٩٧٣م واستمرارها لليوم: وقد بدأت عام ١٩٧٣م، ولا تزال مستمرة حتى الآن، وكانت نقطة بدايتها خلف الحائط الجنوبي، ووصلت أسفل محراب المسجد الأقصى، وفي عام ١٩٧٥م، بدأ الحفر قرب منتصف الحائط الشرقي للمسجد بين باب السيدة مريم، والزاوية الشمالية الشرقية لسور القدس، وأمام الاعتراضات كشف النفق، الذي افتتح في الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٩٩٦م. وفي شهر سبتمبر ٢٠٠٥م أعلنت سلطات الكيان الصهيوني قرب افتتاح ما تدعي أنه موقع أثري يهودي أسفل المسجد الأقصى، وما زالت تقوم بالحفر في شارع الواد وباب السلسلة وتخطط إدارة الآثار الصهيونية لإقامة نواة لمدينة دينية وسياحية أسفل المسجد الأقصى[1].

---

(١) انظر اغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها لفرج أحمد يوسف، مجلة الفيصل عدد (٣٦٢) شعبان ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٩. وكتاب المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم لعبد بن محمد بركو، ط١ (دمشق: دار قتيبة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ص ٧٧-٧٨.

المبحث الثالث: تسارع وتيرة الحفريات في السنوات الأخيرة:

ارتفعت وتيرة الحفريات منذ عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠٠٧م على نحو لافت للنظر يكشف عن مدى حرص اليهود على تهويد القدس وتدمير أوقافنا الإسلامية بها تحت شعار الوصول إلى الهيكل المزعوم؛ مما جعل المخلصين في العالم يطلقون صرخات مؤداها أن المسجد الأقصى في خطر!

يقول مفتي القدس الشيخ محمد حسين: «نستطيع القول: إن هناك شبكة أنفاق تجري أسفل المدينة المقدسة وتجري بمحاذاة المسجد الأقصى، وأخيرا هناك نفق يبدأ من سلوان أي من الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى، وهناك نفق باتجاه الجدار الغربي الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك، وهناك أيضا نفق يدخل إلى منطقة ساحة البراق الذي زادت فيه الحفريات في الفترة الأخيرة إلى ما يزيد عن عشرة أمتار؟! وهناك أنفاق لا نستطيع الوصول إليها ولا نستطيع الكشف عنها»[1].

وقد ثبت أن الصهاينة أفلحوا في إقامة كنيس يهودي من طابقين تحت المسجد الأقصى المبارك تؤدى فيه الصلوات الآن. تلكم الحفريات، التي تسعى لربط المنطقة الواقعة تحت المسجد الأقصى مع حي سلوان، التي يدعي الطرف المحتل بأنها عين ماء مقدسة، في مفاهيمه التاريخية والدينية.

---

(١) انظر مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٤٩٨) ص ١١-١٣، صفر ١٤٢٨هـ، فبراير ٢٠٠٧م، الكويت.

المبحث الرابع: أثر الحفريات على الأوقاف الإسلامية عامة والمغربية خاصة:

وقد اعترف العدو الصهيوني في إعلامه ومختلف وسائل الدعاية لديه أنه يرغب في تهويد القدس، وطمس معالم القدس الإسلامية، وأنه يستهدف أوقافها الإسلامية عامة والمغربية خاصة كباب المغاربة وحارتهم؛ وذلك من خلال العرض الآتي:

- قال الحاخام «مائير كاهانا»[1] الهالك رئيس حزب «كاخ» المتطرف وعضو الكنيسيت السابق؛ وهو يقطر حقدا تجاه كل ما هو إسلامي من أوقافنا العتيدة: «إن إزالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة واجبٌ يقتضيه الدين اليهودي، وإن المعركة دينية، ولكل شعب إله يحميه، وإذا استطاع الله أن يحمي مساجده فليفعل في مواجهة التصميم اليهودي على إعادة بناء الهيكل محل المساجد الإسلامية»[2]. تعالى الله عن تلفيق الملفقين وعلو الظالمين علوا كبيرا.

- جاء في صحيفة «هآرتس» حيث نقلت عن مصادر موثوقة في مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «إيهود أولمرت» قولها: إن مشروع الحفريات حول باب المغاربة يقع ضمن مخطط أوسع لتهويد البلدة القديمة بأسرها[3].

---

(١) ويعد كاهانا من دعاة هدم المسجد الأقصى.

(٢) بيان رابطة علماء فلسطين منشور بتاريخ: ٢- ٤- ٢٠٠٧م، ص ١٢.

(٣) انظر: حفريات الأقصى والدعاية الإسرائيلية الكاذبة لصالح النعامي، موقع الأقصى أون لاين: www.alaqsa.online.com

- وقد اتبعت إسرائيل لتحقيق ذلك سياسة منظمة بدأت عقب عدوان يونيو ١٩٦٧م واستمرت بوتائر عالية إلى يومنا هذا، حيث تجري منذ يوم: ٦- ٢- ٢٠٠٧م، عمليات حفريات واسعة النطاق في باب المغاربة[١].

- انهيار أجزاء من طريق باب المغاربة بفعل حفريات نفذت من قبل، وهذا يظهر حجم الخطر، الذي يحدق بالمسجد الأقصى المبارك[٢].

- وأسفرت تلكم الحفريات عن تخريب مسجد إسلامي وغرفتين - قنطرتين- ومحراب للصلاة وآثار إسلامية أخرى[٣].

- قامت قوة الاحتلال على إثر الحفريات «بمصادرة مئات البيوت والعقارات في حي الشرف وحارة النبي داود والحي الإسلامي وحارة السعدية وسوق خان الزيت وعقبة الخالدية وامتدت المصادرة إلى الأحياء القريبة خارج السور مثل رأس العمود وسلوان والشيخ جراح...»[٤].

---

(١) انظر: مساعي الصهاينة لهدم الأقصى لغازي التوبة، مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٥٠٠)، ص: ٢٩، ربيع الآخر، ١٤٢٨هـ.

(٢) انظر: موقع كل الطلبة: www.altalaba.com

(٣) انظر: موقع الأقصى أون لاين: www.alaqsa.online.com

(٤) انظر: القدس المحتلة: عبير الروح ليقين تحسين، مجلة العربي عدد (٥٨٢)، ص٤٥، ربيع الآخر، ١٤٢٨هـ، مايو، ٢٠٠٧م.

الفصل الحادي عشر
تهويد فلسطين والقدس الشريف
وأثره على الأوقاف الإسلامية

تمهيد:

إن تهويد فلسطين برمتها والقدس الشريف ومناطقه الكبرى هو المشروع الصهيوني الإسرائيلي منذ زمان، وجزء من مخططهم الجهنمي، وذلك عبر خطوات يلحظ المراقب أنها تقدمت كثيرا لتحقيق موعودهم المشؤوم في هدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم؛ وكل ذلك كان على حساب الأوقاف الإسلامية عامة والمغربية خاصة؛ وذلك ما نعالجه عبر المباحث الآتية:

المبحث الأول: لماذا التركيز على القدس؟

لأنها مدينة المدائن، وقدس الأقداس بالنسبة للمسلمين، وفيها المسجد الأقصى، وكلها وقف إسلامي، ولما لها من مكانة في قلب كل مسلم على ما بيناه سابقا.

والحق أن المخيلة اليهودية قد أضفت على القدس جمالا منقطع النظير حتى قيل في التلمود: «لقد منّ الله على العالم بعشر حفنات من الجمال،

أهـدى تسـعا منـها إلى أورشليـم، والبـاقي إلى سـائر العـالم»[1]. واعتـاد الصهـاينة اليهـود في صلواتـهم التوجـه إليها وترديد هذا القسم: «إذا نسيتك يـا أورشـليم نسيت يميـني، وليلتصـق لسـاني بحلقـي إذا لم أذكـرك، وإذا لم أزر القدس في أفراحي»[2].

هـذا، وأن لليهـود الصـهاينة اسـتراتيجية مـن أجـل تهويـد القـدس، وهـدم المسجد الأقصى، بل وتفسر الحفريات للبحث عن الهيكل المزعوم جزءا من التخطيط الإسرائيلي لهدم المسجد الأقصى ويشيد الهيكل مباشرة على أنقاضه. وتكون مدينة القدس مدينة واحدة ذات أغلبية يهودية وأن يكون العرب أقلية لا غير.

المبحث الثاني: أول ما بدأ التهويد وتغيير معالم القدس من حارة المغاربة:

في الحقيقة بدأ التغيير في الأسبوع الأول من احتلال القدس العربية عام ١٩٦٧م، وتمثل ذلك بهدم «حي المغاربة» وإجلاء سكانه، وإجلاء قسم كبير من سكان «حي الشرف» وعزل أحياء عربية كاملة عن القدس، نتيجة لحدود البلدية الجديدة. وقد أدت هذه الإجراءات الفردية إلى مصادرة نحو ٢٠% من

---

(١) التلمود البابلي، رسالة قيدوشين، ٢/ ٤٩.

(٢) دافيد سيتون، القدس في تاريخ شعب إسرائيل، (بالعبرية)، إصدار بمعرخا، ١٩٦٨م، ص٩٥.

مساحة البلدة القديمة، وطرد أكثر من ٧٥٠٠ فلسطيني خارج أسوار المدينة، ومصادرة ٦٣٠ عقارا، وهدم ١٣٥ عقارا. وقد أدى تعيين الحدود الجائر إلى جعل عدة آلاف من المواطنين الفلسطينيين خارج حدود البلدية. واختل بذلك الميزان الديموغرافي، وأصبح (١ إلى ٣) لصالح اليهود ضمن حدود البلدية[١].

المبحث الثالث: التهويد أخذ طريقه عبر خطوات مرسومة:

وقد عملوا بمختلف الوسائل لأجل تكثير سواد اليهود بالأرض المقدسة؛ وذلك بطرد الفلسطينيين من أرضهم، وإحلالهم إلى الشتات، واستقدام اللقطاء من اليهود من مختلف دول العالم، وهنا تتنزل الهجرات اليهودية، وحتى الصفقات، التي تمت مع أوروبا وأمريكا وروسيا ومع غيرها؛ من جراء السماح للأقليات اليهودية بالهجرة، وكان من جملتها اليهود المغاربة و«يهود الفلاشا» من أثيوبيا.

وهذا الانتداب البريطاني، الذي هيأ لليهود كل الأسباب القانونية والمادية والغطاء اللوجيستي اللازم، والعجيب أن يبلغ عدد اليهود في القدس الجديدة في عام ١٩٤٨م، حوالي ١١٠ ألف يهودي. وكان العدد تجاوز عدد العرب بقليل والله المستعان!

---

(١) انظر: عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية (دار الجيل، ١٩٨١م) ص٢٢٣؛ يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، رقم (٦) تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ١٣٦.

وبمجرد إعلان الدولة الإسرائيلية المصطنعة في نفس العام ١٩٤٨م وخروج الإنجليز من القدس، تقلص عدد القرى العربية من ٣٣ قرية إلى ٤ قرى فقط موجودة إلى الآن[١].

وبمجرد العدوان أيام النكسة لعام ١٩٦٧م، سقطت مدينة القدس الشرقية بيد المحتل الغاشم؛ وبعدها مباشرة تتابعت الاعتداءات على القدس الشريف والأحياء به، والأوقاف الإسلامية بما فيها أوقاف المغاربة ومنها حي المغاربة؛ وكان يضم أكثر من ١٣٥ منزلا، ويقطن فيه ٦٥٠٠ مواطن فلسطيني، كما اعتدوا على حي الشرف وكان يضم ١٠٣٤ مسكنا، و٤٢٥ محلا تجاريا و٥ مساجد[٢].

استولى الصهاينة عام ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ، بموجب قانون الاستملاك للمنافع العامة سنة ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ على مساحة ١٢٦ دونما داخل البلدة القديمة في القدس، مبني عليها ٥٩٥ عقارا، يضم ١٠٤٨ شقة سكنية و٤٢٧ مخزنا تجاريا و٥ مساجد إسلامية، و٤ مدارس، وزاويتين إسلاميتين، وكذلك استولى الصهاينة على ٤٠٠٠ دونما من الأملاك العربية خارج السور في القدس. وأصدرت حكومة الصهاينة بتاريخ: ١٩٦٨/٨/٢٣م، ٢٩، جمادى الأولى، ١٣٨٨هـ، قانونا سمحت فيه لكل يهودي كان يملك عقارا في القسم العربي من القدس المحتلة سنة ١٩٦٧م/١٣٨٧هـ أن يعتبره ملكا له، أو لورثته، ومنعت ذلك عن العرب المالكين في القسم المحتل من القدس عام ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ.

---

(١) انظر: طه أحمد، حوادث من تاريخ القدس، ص١٤٣.

(٢) انظر: جريدة تشرين الدمشقية، العدد (٦٦٢٩)، بتاريخ: ٢٩-٦-١٩٩٦م.

الفصل الثاني عشر
الحلول والتوصيات

تمهيد:

بعد هذه الرحلة المضنية والماتعة في رحاب فلسطين وقدسها الشريف، وأوقافها الإسلامية عامة والمغربية خاصة، وبعد سرد كل ما يهددها من تحديات ومحن؛ كان لزاما أن لا نطوي صفحاتها المسودة بالآلام والآمال، وإنما لا بد من الوفاء لأرضنا المباركة بصدق النيات، وعلو الهمم بصلاح الأمم، كي نضع اليد على الجرح، وموطن الداء، ومن جراء التماس وصفة صحيحة وناجعة للعلاج والخروج من الوضع الحالي، والأزمة المتفاقمة. لكنها في تصورنا لا توضع هذه الحلول بصورة استعجالية، أو عبر طبخة بين عشية وضحاها؛ لأن الوضع في فلسطين لم يكن وليد الظرف الآني، وإنما هو نتيجة لتراكمات، ومرت عليه عقود؛ مما يلزم طرح حلول وتوصيات بعيدة المدى وأخرى قريبة، منها الحلول الجذرية، التي ينبغي أن تتضافر فيها جهود الأمة الإسلامية، وحلول على المستوى القريب، وغاية ما هنالك هو العزف على كل الأوتار الحساسة؛ وهذا ما نبينه ونفصله عبر هذا الفصل.

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الحلول والتوصيات المقترحة للخروج من أزمة الأوقاف:

إن ثمة جملة من الحلول الجذرية غير الترقيعية للخروج من الأزمة العارمة، التي طالت الأوقاف الإسلامية بأرض فلسطين فيها ما هو استراتيجي على الأمد البعيد وفيها ماهو من قبيل الحلول الفورية، التي لا تحتمل التأجيل البتة؛ تلكم الحلول، التي حاولنا أن نرصدها في العناصر الآتية:

١- أدعو لوضع استراتيجية مستقلة -وبمنأى عن الحكومات- في التعامل مع القدس ومحنتها والتحديات المحيطة بها لوضع خطط عملية ملزمة للجميع مع تشكيل لجنة للمتابعة وأن تتسم بالصرامة والحزم من الدول القوية للقدرة على التنفيذ؛ وأن يُدعى لها الخبراء الخرّيتون في العمل المؤسسي والفكر الاستراتيجي وذوو الإبصار في الرؤية المستقبلية ومختلف المحللين السياسيين والمؤرخين والعلماء على اختلاف اختصاصاتهم ولكن الممارسين منهم في المجالات المختلفة العسكرية أو الاقتصادية أو الإعلامية وكل المتابعين للوضع القائم في فلسطين والقدس الشريف؛ وذلك في مؤتمر عربي إسلامي ليعطي الديناميكية المطلوبة لموقف عربي وإسلامي متحرك.

٢- الوقف الفوري والعاجل لكل الحفريات المستهدفة للأوقاف الإسلامية والمغربية بفلسطين، وإن أي تأخير ينبيء بشر مستطر.

٣- إنشاء صندوق وقف القدس ودعم الأوقاف الإسلامية والمغربية بفلسطين؛ لتمويل مشروعات القدس ودعم الوجود العربي والإسلامي فيها،

ومنع أي تسرب لأملاكها وبيوتها وأوقافها للكيان الإسرائيلي، ولإعمار مقدساتها. وهذا يتوقف على ميزانية كاملة وكافية قد يكون هذا الصندوق وفيا بجزء من الحل. وينبغي أن يتسع لمختلف البلاد الإسلامية من المحيط إلى الخليج، ومن طنجة إلى جاكرتا، تسهم في تنميته دول الخليج وماليزيا والمغرب وكل الدول الإسلامية، سواء من أموال الزكاة، أو التطوع أو حتى المشاريع الاقتصادية كإصدار سندات مقارضة إسلامية واستثمارها مع ضمان إعادة المبالغ الاسمية لأصحابها والاحتفاظ بالربح لصالح القدس والأوقاف الإسلامية والمغربية. ويكون من أهدافها مساعدة الناس في القدس على الاستثمار لتأكيد صمودها وبقائهم على الأرض مرابطين ولإعمار أسوارها ومساجدها ومدارسها ومنازلها وكل أوقافها، التي تعرضت للاضطهاد والتخريب.

٤ – التوعية الكاملة بأوقافنا المغربية عبر وسائل الإعلام المسموع والمرئي والمقروء، ومختلف وسائل الدعاية كالصحف والمجلات والتلفزيون والفضائيات، واستحداث قناة تُعنى بالأوقاف الإسلامية بفلسطين، وتتابع بأفلام وبرامج وأشرطة وثائقية ما يجري في هذه الأرض المباركة؛ من جراء تنوير الرأي العام بالحقيقة، وهو بيان للناس والحقيقة والتاريخ. وإظهار الحقوق التاريخية والسياسية والعقدية والحضارية للعرب والمسلمين بالأرض المباركة. واستحداث مواقع على الشبكة العنكبوتية للتعريف بالقضية الفلسطينية والأوقاف الإسلامية والمغربية، والتصدي لكل الهجمات الصهيونية والأباطيل والأراجيف الملفقة والمكذوبة عن أرضنا وأوقافنا. ومن هنا نثمن ونضع أيدينا في أيدي

هيئات وإدارات القنوات، التي تعنى بقضيتنا الفلسطينية وأوقافنا كقنوات الأقصى، والقدس، والجزيرة وغيرها كثير.

٥- التعريف بأرض فلسطين والقدس والمسجد الأقصى وإظهار مكانته في قلوب المسلمين عامة؛ من أجل أن تبقى القضية الفلسطينية منقوشة في فؤاد كل مسلم، ومحفورة في قلب كل غيور، أن تبقى قضيتنا حية يقظة حاضرة ومعلومة لا يتجاهلها أحد، ولا يعذر مسلم في العصر الحديث والراهن بالجهل تجاه أرضنا المقدسة، وكلها وقف إسلامي، والحمد لله.

٦- التربية الإسلامية الوقفية على مستوى الأجيال القادمة حتى لا يعقوا هذه الأرض وما تعلق بها من أوقاف مغربية، والأمر يلزم تلقين الأطفال هذه المعلومات التاريخية تماما مع ارتشافهم اللبن من أثداء أمهاتهم، وأن يصبح الوقف المغربي جزءا من الثقافة الإسلامية لدى المغاربة خاصة وكل من تعلق قلبه بهذه الأرض المباركة بشكل عام.

٧- وضع برنامج إعلامي دولي وخطة علاقات عامة؛ من أجل خلق «لوبي إسلامي» داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بهدف مواجهة اللوبي الصهيوني. ويهدف هذا الجهد إلى الاستفادة من الطاقات العربية والإعلامية على المستوى الدولي، ومن تزايد أعداد المسلمين والعرب في الدول الغربية، وكذلك لا بد من فتح حوار مع الطوائف المسيحية من أجل الوصول معها إلى حل للقدس؛ ليشكل نقطة ضغط على صانعي القرارات في الدول الغربية. إن الجهل المطبق بأبسط حقائق الدين الإسلامي وبتاريخ القدس،

وبدور المسلمين فيها، هو الذي يخلق التعاطف الكبير مع الموقف الإسرائيلي المشوه للحقائق وللدور الإسلامي. ومع الأسف فإن معظم التصدي للمحاولات اليهودية لتقليل دور الإسلام أو تشويهه في موضوع القدس لا يلقى استجابة إلا ضمن الإطار العربي والإسلامي نفسه. وقليلا ما تجد من مسيحيي الغرب من يعرف شيئا عن موقف الإسلام من آل عمران ومريم العذراء والسيد المسيح عليه السلام، وقليلون من يعلمون شيئا عن العهدة العمرية، وعن الحقوق والمزايا، التي تمتع بها اليهود في ظل الحكم الإسلامي. إن تحرك الرأي العام في الغرب، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة، يشكل ركنا أساسيا من استراتيجية العمل لاستعادة القدس للحظيرة الإسلامية والعربية[1].

٨- لابد من إحياء القدس ولو رمزا؛ بحيث ينبغي أن تتقدم الدول العربية والإسلامية ببرنامج من عمل الفريق والمؤسسة يهدف لإحياء القدس على كل صعيد، ويعمل على إبراز مكانة القدس وأهميته في العالمين الإسلامي والعربي، وأن تجعل مادة القدس جزءا من المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية والثقافية. ومن ذلك أرى أنه يجب أن تضاف مادة الأوقاف الإسلامية الفلسطينية ومنها أوقاف المغاربة ضمن مادة فلسطين ومقدساتها، وأن تكون متطلبا جامعيا إجباريا. علاوة على إنشاء جمعيات ومنظمات ولجان باسم القدس وتسمية مؤتمرات القمة بمؤتمرات القدس، وإنشاء معرض كتب القدس، وتقديم جوائز

---

(١) انظر: جواد أحمد العناني، واقع القدس ومستقبلها في ظل التطورات الإقليمية والدولية، ط١ (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢م) ص٤٧-٤٨.

باسم القدس للباحثين المتميزين، وكذا للأشخاص، الذين تظهر منهم الخدمة المتفانية للقدس وقضيتها.

٩- تفعيل دور المؤسسات الإسلامية ودعمها ماديا ولوجيستيا وبمختلف صور الدعم من أجل الاستمرار في الكفاح السلمي والعسكري لاسترداد الحقوق الضائعة والتي تؤخذ بالقوة كما نزعت بالقوة، وذلك مثل حكومة حماس بغزة، ورابطة علماء فلسطين بالداخل والخارج وكل جمعيات المجتمع المدني المتصلة بالأوقاف الإسلامية بفلسطين.

١٠- إحياء رسالة العلماء المسلمين من طنجة إلى جكارتا للاضطلاع بالدور الكبير المنوط بهم والمطلوب في دعم القدس وفلسطين؛ لأن القضية الفلسطينية ليست ملكا للفلسطينيين بل هي ملك للأجيال المسلمة حتى قيام الساعة؛ وذلك لما للعلماء من قدرة على استنهاض الشعوب وشحذ ومخاطبة العقول وإيقاظ الهمم، ولفت عناية العالم الإسلامي إلى القضية الفلسطينية ومساعدة المرابطين بأرض الإسراء والمعراج، والإفتاء بالمحافظة على فلسطين؛ لأنها أرض وقف إسلامي لا يجوز التنازل عن شبر منها البتة كما للعلماء كلمة ماضية من جراء حث الأمة على تحرير الأرض المباركة من هذا الكيان الغاشم والغدة السرطانية القاتلة. وذلك مثل تحريم بيع أو التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين... إلخ.

١١- تفعيل منظمة التعاون الإسلامي؛ حتى تكون في مستوى ما يحدث بالأرض المقدسة؛ فهي منظمة تعنى بالشأن الإسلامي، وتقدم الحلول المناسبة

للمشكلات العالقة، وخلفها كل الدول الإسلامية، لها ثقلها ووزنها لو وعيت الرسالة المنوطة بكاهلها.

١٢- تفعيل دور الجامعة العربية؛ لأن فلسطين عربية وإن هذه الأوقاف تحمل روحا عروبية وقومية وإسلامية، لكن متى تضطلع الحكومات والدول العربية بهذه المسؤولية؟

١٣- تفعيل لجنة القدس، التي يرأسها العاهل المغربي؛ ذلك لأن التحديات، التي تواجهها الأوقاف المغربية بفلسطين تتعلق بشكل مباشر بكرامة المغرب التاريخية وتقيم عليه الحجة أكثر من غيره ولاسيما في هذه اللحظة التاريخية الحرجة.

١٤- تفعيل القوانين والشرائع الدولية المتعلقة بقضية الاستملاك؛ لأنها لا تجيز للدولة المحتلة أن تستملك أي قطعة أرض من الأراضي المحتلة.

١٥- تفعيل قرارات الأمم المتحدة بحق الفلسطينيين وكل الاتفاقيات الدولية، التي أُبرمت لصالح الأوقاف الإسلامية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما ادعاه اليهود بأن اسم حائط البراق هو حائط المبكي فهو ادعاء لا يعدو أن يكون باطلا ولا أصل له، وعندما ثار الفلسطينيون سنة ١٩٢٩-١٩٣٠م، ضد قرار حكومة الانتداب بإعطاء اليهود أي حق في حائط البراق تشكلت لجنة دولية محايدة وأعطت قرارها سنة ١٩٣٠م، حيث أكدت أن المسلمين الفلسطينيين هم أصحاب هذا الحائط، وأن ملكيته للمسلمين فقط ولا حق لليهود فيه.

١٦- التواصل مع منظمات حقوق الإنسان في الداخل والخارج، عربيا وإسلاميا وعالميا، ومناشدة الضمير العالمي للوقوف مع آخر شعب محتل في القرن الواحد والعشرين؛ مما أضفى على القضية بعدا عالميا، والنظر في الحقوق المهضومة من سقوط الإنسان الفلسطيني بالجملة وكل يوم وفي حروب تترى وغير متكافئة بين كيان تدعمه أعتى قوة في عالمنا اليوم، أمريكا وأوروبا، وبين شعب أعزل! والله المستعان! ومن لا يضيره ذلك ويملك قلبا هشا من الأوروبيين والأمريكان فلينظروا إلى ما يملكه الفلسطينيون من ماشية وحدائق للحيوانات، التي استهدفت، وشجر الزيتون، الذي يقتلع كل موسم ظلما وعدوانا أمام سمع العالم وبصره! ولا بد من تفعيل كل المنظمات الحقوقية ومنظمات رعاية الأمومة والطفولة ومنظمة العدل ومجلس الأمن... إلخ.

١٧- تفعيل دور المنظمة العالمية «اليونسكو» نظرا لعنايتها بالشأن الثقافي وإنقاذ الآثار والتراث المادي والأدبي في مختلف دول العالم؛ وذلك من خلال سلسلة من دعواتها المطلقة وإن كان أن معظمها قد ارتبط بأمور تافهة وإن حسبت على الفن كتلك المأثورات الشعبية والحكايات القديمة والأغاني غير أنها لم تجرؤ يوما لإطلاق دعوة صريحة من أجل إنقاذ القدس الشريف وللمسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية، التي تهدم أمام سمع العالم وبصره من غير أن تحرك ساكنا. بل قد حاولت المنظمة -مع كامل الأسف- تبرير أو تغليف المشهد العدواني بالإعمار وأعمال الإعمار وما إلى ذلك، والله المستعان! ونحن ينبغي أن نعمل على أن تدعو المنظمة علانية لإنقاذ الأوقاف الإسلامية وحمايتها والتي تحظى بقداسة دينية لدى المليار وخمسمائة مليون مسلم في القارات كلها، وكونها من أبرز المعالم الإنسانية والدينية الصامدة لحد اللحظة التاريخية.

١٨- تفعيل دور المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإسيسكو»؛ لأن قضايا الوقف ومعالمه في فلسطين من التراث الإسلامي يندرج في اهتمامات المنظمة والتعاون معها فيما قدمته إزاء القضية الفلسطينية؛ علاوة على أن أوقاف المغاربة بفلسطين عربية محضة تدخل في اهتمامات المنظمة والتعاون معها في كل ما هو إيجابي تجاه القضية الفلسطينية.

١٩- التعاون مع جماعات يهودية بعضها لها صفة دينية وأخرى لها صفة حقوقية، كلها تعارض المشروع الصهيوني المتغطرس وتعارض الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية بما فيها المغربية. ولا بد من الاستفادة منهم والتعاون معهم، ولو إعلاميا على الأقل، نصرة لقضيتنا العادلة. ولم لا بالنسبة للمؤرخين اليهود وكثير من الغربيين، الذين خرجوا عن صمتهم وأعربوا عن مواقفهم الشجاعة والمنصفة لمقدساتنا، وقد انبروا يتحدثون علنا عن الادعاءات الصهيونية الكاذبة بشأن الهيكل المزعوم وفق أسطورة مبتذلة لا أصل لها البتة.

٢٠- الاحتجاج بالشعارات البراقة، التي يتبجح بها عالمنا وعصرنا؛ ومنها شعارات التسامح الديني، وحرية الأديان والاعتقاد، وعدم الاضطهاد الديني؛ وما إلى ذلك؛ لأن هذه الممتلكات والعقارات والقرى هي أصلا أوقاف خيرية إسلامية، لها قيمتها التاريخية، ومكانتها المقدسة، وحُرمتها الشرعية والقانونية.

٢١- إن نظام الوقف في الإسلام له خصوصياته وشروطه؛ وذلك لأن أحكام الشريعة تنص على مراعاة شروط الواقفين كما نصوا عليها هم أنفسُهم

في الوثيقة والحجية؛ لأجل الحفاظ على الأوقاف عينها ومواقعها والإنشاءات القائمة عليها، وعدم التفريط في أي قطعة أو شبر أو لبنة منها، ولأي سبب كان. وقد علمنا أنها للمغاربة لا غير.

٢٢- العمل قصارى الجهد على الحشد والتعبئة الفاعلة على المستوى الدولي لفضح تصرفات العدو الصهيوني وعبثه بالأوقاف الإسلامية، وكيف أن العالم تأثر لهدم تمثال بوذا بأفغانستان وهو تراب وحجر، ولا يتأثر لأوقاف تهدم وتُنتهب كانت تعول الفقراء والمساكين وتعود بالخير على أهلنا في الأرض المقدسة.

٢٣- دعم أشكال المقاومة المتاحة؛ من أجل استرداد الحقوق الفلسطينية كاملة على المستوى السياسي والعسكري والدبلوماسي؛ لأن العدو الإسرائيلي لا تردعه إلا القوة الساحقة، وبالتالي لا يجوز الاكتفاء بالمفاوضات والمعترك السياسي بغير ورقة الضغط والسند القوي المتحلي في المقامة والتي تضفي زخما على الكلمة وتفيض عليها مكانة وقدرا.

٢٤- التبرع لصالح القضية الفلسطينية بما فيها الأوقاف لاسترجاعها ودعم الصامدين والمرابطين على تخوم فلسطين. فكما أن الصلاة بالمسجد الأقصى تعدل ألف صلاة في غيره، فإن الصدقة والتبرع لأجله مضاعفة، إن شاء الله. وقد ورد حديث مَيْمُونَةَ، مَوْلاةِ النَّبِيِّ ﷺ «قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: **أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ**، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: **فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٤٠٧)؛ وأحمد برقم (٢٧٦٢٦)، (٥٩٧/٤٥)؛ قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤/٢): وإسناد طريق ابن ماجه صحيح رجاله ثقات.

٢٥- الإسراع في تخصيص مقرر يحمل اسم «الأوقاف الإسلامية بفلسطين» وآخر عن «أوقاف المغاربة بفلسطين»؛ ليكون متطلبا عاما في الجامعات الإسلامية والعربية لتعريف أبناء الأمة بتجربة الوقف بالأرض المباركة.

٢٦- توجيه الطلاب في الدراسات العليا في الجامعات ومراكز البحث؛ لتحقيق التراث الوقفي وإنجاز الأبحاث بشأنه.

٢٧- عقد مسابقات وتهييء جوائز لائقة ومناسبة حول الأوقاف الإسلامية بما فيها المغربية بفلسطين.

٢٨- إنتاج فيلم تسجيلي عن أوقاف المغاربة، التاريخ والوثائق والتحديات والحلول.

٢٩- الاحتفال كل عام بإحياء أوقاف المغاربة والتعريف بأبطالها والشخصيات المغربية، التي وقفت على فلسطين وأسهمت في تنمية الأوقاف الإسلامية هناك.

٣٠- لابد من استلهام الدروس من الماضي والحاضر؛ ولا بد من العزف على السنن الإلهية في الخلق، وبيان أن الأمة كانت قوية بإسلامها، وأنها ارتكست في الحضيض؛ بسبب غياب الإسلام عن مسرح الحياة؛ علاوة على أن القضية الفلسطينية وأوقافها من الأمور الإسلامية غير المحتملة لأي تأويل؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). والأمر يفضي إلى الاعتصام بالكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣)، وأن انتهاج مسلك الإسلام في الحياة مدعاة للقوة العظمى، والوحدة العظيمة؛ وهي

من لوازم الاعتصام بحبل الله المتين والنور المبين؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢). وكما قال الفاروق ﷺ الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وبين الجاهلية والإسلام، قال: «كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غير الإسلام أذلنا الله». وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس: «لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، ألا وقد صلحت الأمة في أول عهدها بالإسلام والإسلام فقط.

٣١- هذه الأمة الإسلامية قد أودع الله تعالى فيها عناصر القوة وعوامل النهضة؛ ومنها القوة العددية، فالمسلمون يربو عددهم في العالم عن مليار ونصف المليار؛ فأين دورها يا ترى؟ ثم إن هذا العدد بمجموع بجوار فلسطين ويطوقها من خلال دول الطوق كمصر والأردن وسوريا ولبنان وتركيا.. وإنهم منتشرون في العالم ويقطنون في القارات كلها. وإن هذه الكثرة في العدد لها دورها في الحرب النفسية ضد العدو، لو اجتمعت كلمة المسلمين لأرعبوا وأرهبوا هذا العدو ولما استطاع أن يقبع على أرضنا بلْهَ أن يعبث بأوقافنا الإسلامية! قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:٨٦).

٣٢- هذه القوة العددية والروحية ليست بمنأى عن القوة المادية؛ فالله تعالى قد أودع في ربوع العالم الإسلامي كنوزا وخيرات حسانا، الذهب الأسود، والنفط والغاز، والسهول والتلال والجبال والهضاب والوديان والعيون والآبار والأنهار والبحار ومخزونا كبيرا من المياه الجوفية، إن الأمة الإسلامية تشكل من

غير نزاع قوة اقتصادية تستطيع بواسطتها أن تمتلك ناصية العالم من جديد وأن تسترد حقوقها التاريخية بقوتها الاقتصادية وعزل إسرائيل والضغط عليها. وإسرائيل تعرف ذلك، فلذلك هي تسعى إلى التطبيع مع عالمنا العربي والإسلامي لاسيما على المستوى الاقتصادي.

٣٣- هذه القوة لا قيمة لها بغير اجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦). وللأسف الشديد، فالأمة الإسلامية ما زال بأسها بينها شديد، فعدم القدرة على التحرير للأرض المقدسة واسترجاع الحقوق كالأوقاف الإسلامية دليل على وهنها وتنازعها وذهاب ريحها؛ قال الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

٣٤- الدعاء للقضية الفلسطينية ولأهلها، وكل مهتم من موقعه وفي الثغر، الذي يرابط فيه؛ ذلك لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؛ ولأن الدعاء هو العبادة ومخها، ولا سيما إذا كان بظهر الغيب، وكان قد استجمع شروطها وآدابه من تقصي الأحوال الشريفة؛ وذلك دبر كل صلاة فريضة، وصلاة قيام الليل شعار الصالحين؛ لأنها سهام الليل، وفي قنوت النوازل، وفي الجُمع والأعياد، وكل موسم ديني، أو تجمع أو مهرجان. وأن يكون الداعي موقنا بالإجابة محسنا الظن بالله تعالى، ملحا عليه، ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه، يقول المولى

تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦).

ولقوله ﷺ: «...إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[1].

والدعاء هو أول وآخر ما يملكه المسلمون المعذبون في الأرض. ولا يجوز التواكل بالدعاء دون الأخذ بالأسباب الكونية والشرعية في مجال التغيير؛ فهذا المصطفى ﷺ قد استنفذ حيلته في الدعوة، ودعا الناس سرا وعلانية، فرادى وجماعات، ودخل عليهم في أسواقهم، بل وعرض نفسه على القبائل كبني ثقيف بالطائف، ومع ذلك تكلل رحلته بالدعاء المشهور حيث لم ينس ربه تعالى:

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطِكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة برقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ورد هذا الحديث مرسلا، من رواية ابن إسحاق في «السيرة»؛ كما في: «تهذيب السيرة» لابن هشام، ٤٢١/١؛ ضعفه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» برقم (٢٩٣٣).

خاتمة

نسأل الله حُسْنَها وزيادة

إن ثمة علاقة قوية بين الأرض المقدسة -فلسطين- والمغاربة؛ إذ شُدّت قلوبهم إليها في وقت مبكر لما اتصفت به هذه الأرض المباركة من قدسية وطهارة، بوجود المسجد الأقصى في ربوعها؛ ولأنه مما تشد الرحال إليه، ولفضل الصلاة فيه ومضاعفتها، ولأن العثرات تقال به، ولأنها معدن الأنبياء ومرقد العديد منهم، وكذا فإنها أرض المنشر والمحشر.

وقد رحل إليها مغاربة كُثُر من أجل الجِوار كالإمام الطرطوشي وسيدي صالح حرازم، والمقّري التلمساني، كما رحل إليها ثلةٌ من العلماء؛ من أجل استكشافها رحلة علمية كابن بطوطة، وأبي سالم العياشي، ومحمد ابن عبد الوهاب المكناسي.

وقد كان للمغاربة دور في الحروب الصليبية المتتالية على فلسطين والقدس؛ بسبب فتح الأندلس وشغل النصارى داخل الأندلس عن المشاركة في تأييد الحملات الصليبية بالمشرق العربي، وصد حملاتهم وإحداث انتصارات عليهم كمعركة الزلاقة، التي صدّتهم عن الالتفات إلى الأرض المقدسة؛ وذلك طوال العصر المرابطي على عهدي يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف،

والعصر الموحدي على عهد عبد المؤمن بن علي الكومي ويعقوب المنصور الموحدي، والعصر المريني ولاسيما على عهد أبي الحسن المريني.

هذا وقد رحل المغاربة إلى هذه الأرض واستقروا بها؛ للذود عن حماها على إثر دعوة من صلاح الدين الأيوبي حين استغاث بالموحدين بالمغرب؛ فكان المغرب حاضرا بأسطوله الزاخر، وجنوده البواسل، فكانت لهم مكانة لدى السلطان صلاح الدين، وتمت مكافأتهم بأوقاف خاصة اشتهرت تباعا بحارة المغاربة.

وقد استقر بعض المغاربة بفلسطين؛ لأداء مهام إدارية وقضائية، كعيسى بن محمد المغربي الشخمي الملقب بشمس الدين، وحميد الدين محمد بدر الدين المعروف بابن المغربي، ولعل آخر القضاة المغاربة في مدينة القدس العلامة الغرناطي شمس الدين محمد بن علي الأزرق المغربي الأندلسي المالكي..

وقد دل التشابه المعماري بين القدس والمغرب على التلاقح الحضاري ودور الحرفيين المغاربة في النقش والبناء والحفاظ على الهوية الإسلامية بالقدس.

شكّلت الأوقاف في فلسطين نحو مليون و ٦٨٠ ألف دونم (٦.٢٥ % من مساحة فلسطين)، وتوجد بها ٣٤٠ قرية تعتبر وقفاً كلياً أو جزئياً مثل بورين وبيت فوريك وشطا، وسعسع وغيرها من الأوقاف الإسلامية. وكان من أوقاف المغاربة المشتهرة المعروفة بحارة المغاربة، التي تنسب للمغاربة، الذين وصلوا من الأندلس وشمال إفريقيا في زمن صلاح الدين الأيوبي، وكانت من أشهر الحارات الموجودة في البلدة القديمة بالقدس الشريف، وكانت هذه الحارة

بالكامل وقفاً من الملك «الأفضل علي» بن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير المدينة من الصليبيين، حيث أوقفها بأكملها على المجاهدين المغاربة، الذين شاركوا في الفتح وبقيت باسمهم، وقرر أن مدخول جميع هذا الوقف يوزع على عامة المغاربة؛ وباتت تعرف بحارة المغاربة.

وللحفاظ على استدامتها اشتروا كل العقارات المجاورة، وكان فيه اهتمام مغربي رسمي وشعبي بشراء الأملاك في القدس حسب قاعدة (الوقف)، وشمل ذلك العقارات المبنية، والعقارات غير المبنية، تماما كما حدث مع قرية (عين كارم) الموقوفة بكاملها من طرف الشيخ أبي مدين الغوث.

والزاوية المغربية للشيخ عمر المصمودي، ووقف المدرسة الأفضلية كانت تقع على بعد خمسة وسبعين متراً إلى الغرب من المسجد الأقصى المبارك؛ أوقفها «الملك الأفضل نور الدين علي أبو الحسن» وهو ابن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي. وأوقاف السلطان المريني بشراء العقارات، وكذا المصحف المريني المعروف بالربعة المغربية.

وقد أوقف السلطان المولى عبد الله بضعة وعشرين مصحفا بخطوط جميلة، كان منها ما نال ثالث الحرمين. ووقف مقام ومسجد الشيخ عيد، ودار مجير الدين عبد الرحمن العليمي، ودار القبو الروماني، ويعرف بوقف فاطمة بنت محمد، ودار وقف الحاج قاسم الشيباني المراكشي، وأوقاف أخرى مثل وقفية الحاجة صافية بنت عبد الله وحاكورة الزيتون وحاكورة الجورة، ودار الرمانة، وطاحونة وقف المغاربة، ودار وقف كمال الحلواني، ووقف المغاربة،

ودار وقف القاضي شرف الدين الخالدي، وحاكورة وقف المغاربة، ودار الشيخ صنع الله الخالدي، وحاكورة اللوند، وحاكورة ابن غزال، والحاكورة الغربية، وحاكورة وقف أبو مدين، وحاكورة وقف المغاربة، لِصق مقام الشيخ عيد.. إلخ.

لقد تعرضت الأوقاف الفلسطينية عامة والمغربية خاصة لإحن ومحن وتحديات منها استيلاء اليهود على معظم الأوقاف بأراضي ١٩٤٨م؛ بحجة أنها أملاك غائبين! ومصادرة معظم المسجد الإبراهيمي، والاستيلاء على حائط البراق، وتصرف اليهود -بكل وقاحة- ببناء فندق «بلازا» الفخم على مقبرة (مأمن الله) في القدس، بل فتحت بها شوارع وحُوّل القسم المتبقي منها إلى حدائق عامة. وفي شهر يونيو ١٩٦٧م، صَادَرَ الكيانُ الصهيوني حيَّ المغاربة، وفي اليوم العاشر من نفس الشهر قامت قوات الاحتلال بإخلاء سكانه لتُسويه بالأرض ولتقيم مكانه ساحة عمومية تكون قبالة حائط البراق. خلال بضعة أيام، أتت جرافات العدو على ١٣٨ بناية، كما هدمت جامع البراق وجامع المغاربة. وما لبث أن لحق نفس المصير بالمدرسة الأفضلية وزاوية أبي مدين والزاوية الفخرية ومقام الشيخ. وإن الانقسام الداخلي بأرض فلسطين زاد الطين بلة، والله المستعان!

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* تقـــــديم:	٥
* مقدمـــــة	٧
* الفصـــل الأول: فلســـطين: بطاقـــة تعريـــف	١٩
* الفصل الثاني: تعلق المغاربة بالأرض المقدسة لقدسية المسجد الأقصى...	٣١
* الفصل الثالث: رحلة المغاربة إلى الأرض المقدسة	٤٥
* الفصل الرابع: حقيقة الوقف الإسلامي	٦٣
* الفصل الخامس: النشأة التاريخية للأوقاف في فلسطين	٧٥
* الفصل السادس: الأوقاف بفلسطين: نظرة عامة	٨٣
* الفصل السابع: أوقاف المغاربة في فلسطين.. الذاكرة والتاريخ	٩٣
* الفصل الثامن: الكيان الصهيوني أكبر تحد للأوقاف الإسلامية	١٥٥
* الفصل التاسع: بيع الأراضي الفلسطينية أو التعويض عنها	١٦١
* الفصل العاشر: الحفريات الصهيونية وأثرها على أوقاف المغاربة ...	١٧٥
* الفصل الحادي عشر: تهويد فلسطين والقدس الشريف وأثره على الأوقاف الإسلامية	١٨١
* الفصل الثاني عشر: الحلول والتوصيات	١٨٥
* خاتمـــة:	١٩٩
* الفهرس	٢٠٣

وكـلاء التـوزيـع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــر	دار الثقافـــــــــة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٤٦٢٢١٨٢ ٤٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ — الدوحة فاكس: ٤٤٤٣٦٨٠٠ -بجوار سوق الجبر
البحـــرين	مكتبـــــــــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ — البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويـــت	مكتبـة دار المنـار الإسـلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتبـــة علـــوم القـــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	شـركة وكالـة التوزيـع الأردنيـة	٥٣٥٨٨٥٥	ص.ب: ٣٣٧١ — عمان ١١١٨١ فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣
الـــــيمن	مجموعـــة الجيـــل الجديـــد	٧١٣٦٣-٧٨٠٤٠ ٧٥٨١١ -٢٧٠٣٨	ص.ب: ٥٤٤- صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الســـودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	٤٦٦٣٥٧	ص.ب: ١١١٦٦- الخرطوم فاكس: ٤٦٦٩٥١
مصـــــر	دار البيـــلام للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــــع والترجمـــــة	٢٧٤١٥٧٨ ٢٧٠٤٢٨٠ ٥٩٣٢٨٢٠	ص.ب: ١٦١ غورية ١٢٠ ش الأزهر - القاهرة فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
المغـــــرب	مكتبة سلمى الثقافية		
الجزائر	دار الـــوعي للنشـــر والتوزيـــع	٠٢١٣١٧٠١٣٦٤٦ ٠٢١٣٥٤٥١١٠١٥	القطعة رقم ١٤٢ ب حي الثانوية - الروبة -الجزائر
إنكلـــــترا	دار الرعايـــــة الإســـــلامية	(01) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

ثمن النسخة

الأردن	(٧٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٥٠) قرشاً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٦) جنيهات
المغرب	(١٠) دراهم
الجزائر	(١٢٠) ديناراً
اليمن	(٤٠) ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

هاتف: ٤٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة – الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

موقعنا على الإنترنت:

www. sheikhali-waqfiah.org.qa

www.Islamweb.net

البريد الإلكتروني: E.Mail

M_Dirasat@Islam.gov.qa

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة البحوث والدراسات الإسلامية

جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

الوقفية العالمية المحكَّمة

إسهامًا في تشجيع البحث العلمي والارتقاء الثقافي الفكري، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء، تطرح لعامها الثالث عشر موضوع:

المواطنة وفقه الانتماء

آخر موعد لاستلام البحوث كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧م

قيمة الجائزة (٢٠٠) ألف ريال قطري

برعاية الإدارة العامة للأوقاف

أوقاف AWQAF

• المحاور:

- **مدخل:** تحديد المفاهيم: الوطن؛ المواطنة، الوطنية؛ الانتماء؛ الولاء؛ البراء؛ القومية؛ القُطرية؛ الأمة؛ الدولة؛ المجتمع؛ الشعب؛ العقد الاجتماعي؛ الحق المدني • السياق التاريخي للمفهوم.
- **قيم الهوية:** تأسيس وترسيخ قيم الهوية الوطنية: القرآن الكريم، السنة النبوية؛ السيرة؛ حياة الصحابة؛ التراث الإسلامي • بين مفهوم المواطنة ومفهوم الأمة والإنسانية • التعدد والتنوع سنة كونية وحقيقة شرعية وضرورة عمرانية وواقع تاريخي.
- **المواطنة وتعزيز قيم الانتماء:** دور الدين في بناء المشترك وتعضيد مواثيق المواطنة • مقومات التعايش السلمي بين المختلفين في العقيدة والجنس.
- **المواطنة ودوائر الانتماء:** بين الانتماء للوطن والولاء للعقيدة • إشكالية الانتماء بين الأمة والدولة • المواطنة في غير بلاد المسلمين • المواطنة والتحديات الراهنة: العولمة • التحالفات الدولية والقرارات الأممية، ....
- **أسس المواطنة:** العدل، الأمن، المساواة، تكافؤ الفرص، المشاركة الكاملة، استحقاق المنافع الطبيعية • بين المواطنة والاندماج • الحقوق الإنسانية: الدينية، المدنية، السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية....
- **رؤية مستقبلية:** الفكر المقاصدي وأحكام الشريعة: مقاربة لمواطنة فاعلة • أثر الانتماء الوطني في تحقيق الأمن والتنمية وبناء السلم المجتمعي • وسائل استدعاء البعد الغائب في دعم وترسيخ قيم الهوية والانتماء • نحو بناء ميثاق وطني جديد: مقاربة تراثية (حلف الفضول، وثيقة المدينة...).

• شروط الجائزة:

١- أن يكون البحث قد أُعدّ خصيصًا للجائزة.

٢- أن تتوفر في البحث شروط البحث العلمي.

٣- أن يلتزم الباحث بالمحاور المعلنة جميعها.

٤- يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ مطبوعة، ومخزنة على قرص (CD) مرفق بالبحث، إضافة إلى ملخص باللغة الإنجليزية، إن أمكن.

٥- لا يقل حجم البحث عن (٢٠٠) صفحة (A4)، حوالي: (٦٠,٠٠٠) كلمة بخط (Traditional Arabic) بحجم (16).

٦- تحجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث للمستوى المطلوب.

٧- يجوز اشتراك باحثَيْن أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٨ - تسحب قيمة الجائزة، إذا اكتشف أن البحث مخالف لبعض شروط الجائزة.

٩- لا تُمنح الجائزة للفائز مرة أُخرى إلا بعد مرور خمس سنوات.

١٠- التزام الباحث الفائز باستدراك ملحوظات المحكمين.

١١- على الباحث أن يرفق نبذة عن سيرته الذاتية، ونسخة مصورة عن جواز سفره.

*** ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:**

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

لمزيد من الاستفسار:

هاتف: ٤٤٤٤٧٣٠٠(٩٧٤+)- فاكس: ٤٤٤٤٧٠٢٢

البريد الإلكتروني: m_dirasat@islam.gov.qa

موقعنا على الإنترنت: www.Islamweb.net

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر

ص. ب : ٨٩٣ الدوحة - قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.